

إهـــداء خــــاص

إلى ربى .. رب السموات والأرض كلى له فى الأول وفى الأخر.

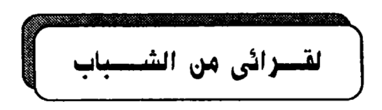
ولكل زمن أسـيـاده وعبـيـده ، حـتى يتجلى الله بنوره فـيـعـرف الجـمـيع أنهم كلهـم عبيـده وآن الله هو السـيـد هو المالك وهـم جمـيـعـا رعاياه . فالملك لله الواحـد القهار سبحـانه أهدى هذا الكتاب المتواضـع عسى أن يزيد من نصيبى عنده من الرحمة والغفران.

أميره الجنيدى

إعـــــــتذار

رجـــاء خاص ان هـناك بعض النصوص باللغة الأنجليزية وليس لها ترجمة باللغة العربيـة. والسـبب أننى خسـت أن تقلل الترجمـة من جمـال النص . وإذا لجـأ القـارئ للقـامـوس فـسـوف تحـل المشكلة بإذن الله

أميره الجنيرى



Persevere

Drive the Nail aright . Hit it on the head , strike with all your might boys, while the iron is red.

When you've Work to do boys, do it With a Will . They Who reach the top boys, First Must Climb the hill.

وجهة نظر

ليتك تحلو والحياة مريرة
ليتك ترضى والانام غضاب
ليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

رابعة العدوية



Oh mistriss mine, Where are you roaming?
Oh stay and hear your true love,s coming.
That can sing both high and low.
Tirp no further Pretty sweeting
Journey's end in lover ' s meeting
Every wiseman's son doth know !
Willi am shakespeare.

اهـــــــــداء

اهدى هذا الكتاب لكل الأرواح الطيبة التى قابلتها فى حياتى
والتى لم اقابلها بعد والتى قد لا اقابلها ابدا

اهدى هذا الكتاب لكل الأرواح الطيبة فى كل مكان وفى كل زمان

كما اهدى هذا الكتاب ايضاً إلى الرجل الذى ترك الدنيا ورحل
وهو غير اسف عليها

إلى المرحوم خالى محمود السلانكلى
الذى توفاه الله بعد صراع قصير مع المرض وهو فى ريعان الشباب

كلمـــة للقـــارئ

تمهل أيها الإنسان، تمهل يا ابن آدم وأنظر حولك، من أمامك ومن خلفك وحاول أن تتأمل الحكمة الإلهية من وجودك، جوهر الحكمة الإلهية فى كل شىء مهما بدى صغيرا أو كبيرا . ولتعلم أن الله يحبك فى كل حالاتك، فلا تقل أبدا أن قدرك سىء وإن السما ء قد تخلت عنك ويجب أن تعلم أن الله برحمته قد جعل قدرك صديقك مهما بدا لك من عداءه، من عداء القدر لك فقدرك هو خير ما يلائمك وصدق الله سبحانه وتعالى فى قوله « عسى أن تكرهوا شىء وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شىء وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» صدق الله العظيم .

كما أن لكل منا حياته، مشواره ورحلته، رضى أم لم يرضى، والرحلة قصيرة، بل قصيرة جدا وإن بدت لمعظمنا طويلة لا نهاية لها فقف أيها القارىء وتمهل قليلا ودعنى أسألك : ماذا أنت فاعل برحلتك؟

كيف ومتى وإلى أين؟ ماذا فعلت وماذا تفعل و ماذا ستفعل؟ انظر إلى خطواتك على الطريق وادع ربك أن يكلل رحلتك برضاه، هذا هو الغرض وهذا هو الأمل وإذا فى يوم من الأيام علمت أن كتابى هذا قد نجح فى أن يزيد من كمية الرحمة فى قلبك، إذن قد نجحت أنا فى تحقيق هدفى

أميره الجنيدى

الفهـــــــرس

تابع الفهـــــرس

١ - النملة فى قاع الكوب

جلست الحاجة جليله هانم فى شرفة منزلها.

إمرأه مسنه فى السبعين من عمرها، فلاحة بنت فلاح، والدها كان باشا من الباشوات وعين من الأعيان فى الريف المصرى. جلست فى الشرفة تتطلع الى الشارع المزدحم بالناس، وأكتافهم وأيديهم وأرجلهم تتلامس وأحياناتتضارب وهم يسيرون فى الطريق وقد بدوا كما لو كانوا مسهم نوع من الجنون. جنون يكاد أن يكون شبه جماعى ، كل يبحث عن طريق خال إلا منه كل منهم يتمنى لو إستطاع أن يسير فى هدوء وسكينة وراحة بعيدا عن جنون وجحيم الآخرين، ويظن أنه العاقل المتزن الوحيد. وهو لا يعلم أنه قد يكون أكثرهم وأخطرهم جنونا ولكن البحث عن الطريق الهادى الخالى لا يزا ل حلم الجميع. كان دائما وأبدا ـ وبدون جدوى ـ الهدف الذى يسعى اليه أكثرهم حتى وإن كتم هذه الرغبة الدفينة فى صدره، لايفصح عنها لأحد حتى يموت ويلاقى ربه كان الطريق الخالى هو الحلم المكبوت ويقول كل منهم كاذبا : أنا إجتماعى وبحب الناس. ويصيب الناس نوعا من اليأس، يجعل كل تحركاتهم وتجمعاتهم وسعيهم وطموحاتهم شىء أشبه بالعبث المرير مرارة العلقم. وأخذت جليله هانم تفكر وهى تبتسم فى سخرية : كل واحد منهم له قصة وله حكاية تختلف عن

حكايات غيره من البشر. فى أغلب الأحيان. حكاية لا يعرف تفاصلها الدقيقة إلا صاحب الحكاية وربه سبحانه وتعالى. حكاية يكتمها فى صدره حتى تفارق روحه جسده، ويموته تنتهى الحكاية وتخلص الحدوته، وتترك حكايتة اثارا على من حوله وحتى بعد موته ـ رضى هو أو لم يرضى. رضوا الناس أم لم يرضوا وقد تترك حكايته القصيره ـ بعمر الزمن – اثار على أناس لا يعرفهم ولايعرفونه، وهكذا تتسع مسئولية الإنسان وترسخ وتتأكد لتصبح شيئا رائعا ـ مروعا ـ رهيبا ومخيفا.

وتقوم جليله هانم لتعد لنفسها كوبا من الشاى فإن خادمتها تغادرها فى السادسة مساء من كل يوم جليله هانم لا تأنس تماما لفكرة ان يشاركها الحياة إنسان اخر. وبعد كل هذا العمر لقد تركها الأولاد الذكور وايضا الاناث، كل لجأ الى صدر جديد غير صدرها، الصدر القديم الحنون الذى كانوا كلهم يأنسون له، يضحكون عنده ويبكون عليه.

إلا أن هذا الصدر القديم الرحب ـ صدرها ـ صدر الأم ـ ما ذال ينبض بالحب ويتسع لهم جميعا وحتى تلاقى ربها ـ احساس بأنكار للذات لايعرفه إلا الأم. الأم وحدها. وهكذا أراد المولى عز وجل.

وتقول جليله هانم لنفسها وهى تبتسم بحزن : يعنى ـ إحنا

الأمهات هندخل الجنة ببلاش ؟ لازم ندفع الثمن - هذا هو ثمن الجنة التى تدفعه الأم لربها. الثمن هو حب وعطاء بدون توقف وبدون تبرم وبرضى كامل وقناعه تامة ، عطاء تسعد به الأم نفسها بالرغم مما فيه من آلام أحيانا وتعود جليله هانم الى مجلسها فى الشرفه وفى يدها كوب الشاى وتولع سيجاره لتدخنها مع الشاى المحروم زوجها علمها أن الشاى - فى الماضى - أن الشاى يزداد حلاوة ويصبح متعة حقيقية إذا دخنت مع الشاى سجارة حتى يطسلطن المرء. على حد قول زوجها الله يرحمه.

أكانت تحبه ؟ أكانت تحب زوجها ؟

وتجيب هى على نفسها : أيحب الإنسان شيئاً ما أو شخصا ما لا يفهمه ؟

لم يسمح لها زوجها بأن تتعدى حدودها. فلقد عاش ومات وله خصوصياته، التى لا يعرفها ولا يفهمها أحد مهما حاول. زوجها الرجل الذى إنحصرت كل إهتماماتة فى بيته وأولاده. لهم وحدهم كان ولاؤه ولذلك كان محط لوم وعتا الكثيرين وكان دائما يقول لمعارفه أسرتى هى أمتى وبيتى هو وطنى،

فلا تطالبوننى بمالا أطيقه ولا أقدر عليه.

ثم يكذب قائلا : ثم أننى لا أفهم ما تقولونه، ولما كل هذه الشعارات الرنانه ؟ تحدثوا ببساطه ياسادة فقد أفهمكم حينئذ.

أننى أقول لكم ما قاله الشاعر الإنجليزى الكسندر بوب فى إحدى قصائده وهو يوجه حديثه للخروف مجازا : حذار وتذكر أن هذه اليد التى تطعمك اليوم تقتلك غداً.

أصوات المارة وجنونهم تحت يثير حزنها وشجونها.

وتسائل نفسها وهى تتعجب : ولماذا يصرخون هكذا ؟

لا ـ أنهم لايصرخون، أنهم يعوون، يعوون كالذئا ب، كل منهم يريد أن يمزق الآخر ويلتهمه بدون أى إحساس بالذنب.

ودق جرس الباب وقطع عليها حبل أفكارها ولكنها قامت ببطىء شديد لتفتح الباب ولتجد إبنها الأكبر أمامها رجل فى حوالى الخمسين من عمره .

وبدى هو ـ كاعدته فى السنوات الأخيرة شعره قذر، نظارته زائغة، بدى وكأنه رجل فقد إتزانه تمام، رجل ضاع منه توازنه وضاعت منه سكينته.

وتقول هى بحزن وبإبتسامه باهته وقلبها يعصره الغم : أهلا وسهلا ياحبيبى، إدخل، إتفضل يامراد - إدخل يا حبيبى . ولكنه وقف كالاصم لا يتحرك، فتعيد هى كلماتها الحانية للمرة الثالثة. إدخل يا حبيبى أهلا وسهلا - ثم تمد يدها بحنان لتمسك بيده وتجذبه للداخل برفق وكأنها تقود رجلا أعمى.

دخل هو ـ وأمه تقوده ـ قائلا بيأس : إمسكى بيدى يا أمى ـ لم يعد لى سواكى الأن.

فتقول هى بحب وبعتاب : وربنا ؟ وربنا يامراد لك ربنا ياإبنى

فكرت هى بسرعة : إبنها الصغير هو حبيبها الحقيقى، أما هذا الإبن الأكبر الذى يبدوا أمامها يائسا الأن.

إبنها الأكبر ـ كان دائما ابن عاقا ، لايفعل إلاا ما يسعده ويحقق رغباته ـ وكما يقول أولاد البلد : أعطاه ربنا زوجه من نفس عينته ـ من نفس طينته من نفس جبلته لقد نصحته أمه قبل زواجه : إبعد إبعد يا إبنى. لا تتزوجها ـ لاتتزوج إمرأه يخيل إليك أنك تحبها كل هذا الحب. وليتها تستحق، أنها لا تستحق،إسمع كلام أمك.

وكان تعليقه الوحيد : أنت تريدين أن تتملكينا طوال العمر ـ كفاية كده يا ماما. تجاوزت عن إهانته لها وقالت تنصحه للمرة الألف : إبحث عن إمرأه تحبك يامراد : إمرأه تبادلك نفس شعورك ويكون بينكما مودة ورحمه. هذه المرأه التى تريد أن تتزوجها لا تعرف المودة ولاتعرف الرحمة. لاتسير الى الهاوية بقدميك.

وكان يقول هو بعصبيه أنت لاتحبيننى، لقد كان محمود إبنك الأصغر هوحبك الوحيد الحقيقى ـ

إبنك الحقيقى هو محمود. أما أنا فلا. ولقد كنت دائما

تعاملينني كما لو كنت إنسان فرض عليك فرضا وأنت لا تريدينه.

وكانت هى ترد دائما : إنت إبنى الأكبر، أكبر وأول فرحة ـ رجلى الوحيد بعد أبيك الله يرحمة ولكن إفعل ما بدى لك، تزوجها وربنا يرحمك من عنده ما دمت لا تريد أن ترحم نفسك ـربنا يسعدك يا إبنى.

تزوج مراد من مالكة فؤاده رغم معارضة الجميع لأن الجميع كانوا يعرفونها، إلا هو.

فلقد كان يتعامى عما بها من عيوب وفى بضعةسنوات قليلة حولته إمرأه ـ زوجته ـ إلى أنقاض رجل. وصل يأسه الى أنه أصبح يتمنى الموت ولا يجده هو ما زال يحبها وسيظل دائما يحبها حتى بعد أن أصبحت حياته معها جحيما مقيما.

قالت : سأعد لك وجبه ساخنة.الأكله اللى بتحبها يامراد. فاكر ؟ ـ باميه باللحمه الضانى ، تكون أنت دخلت الحمام وأخذت دشا ساخنا.ألا تذكر قول أبيك الله يرحمه وهو يقول « اللى يأكل الضانى لاينضام » رد هو ومازال نظراته زائغة، لاتثبت على شىء محدد قال: لا أريد شئا، فقط إجلسى معى يا أمى – لقد تعلمنا منك كيف نحب ولكن للأسف حبى لها لا يقابله منها إلا كل نكران للجميل وتمرد وقسوة ومد يده وهو يرتجف يبحث عن يد أمه ويقبض عليها بشده وكأن يد أمه هى طوقه للنجاة ـ توقه الوحيد للنجاة. الآن عرف قدر

أمه الحقيقى.

قـال : لقـدظلمـتك يا أمـى – ليـتك لـم تلدينى . لم ترى منى إلا قسوة وظلم.

وقـاطعته هى قائله ولكننى مسـامحـةياحبيبى. وقـال وهو يتطلع إليها بحب لا حب إلا حبك ينقذنى مما أنا فيه.

صمت قليلا وهو ينظر الى أمه : هى تطلب الطلاق ولا أتصور الحياه بدونها سأرضى بالعبودية والهوان، طالما هى

راضية عنى، أن أظل بجوارها، تحت قدميها.

وصرخت جليله هانم وكأن ثعبان لدغها فجأه ونشر كل سمومه فى جسـدها النحيف وظهرت الفلاحة التى لا تزال تعيش بداخلها : إخرس. إخرس ياكلب ، لا أريد سمـاع مثل هذا الكلام منك، لو كان أبوك عـايش كـان ضـربك بالكرباج. ودفنك وأنت على قيـد الحـيـاة ثم سكتت تلتقط أنفاسـها ثم صرخت مره أخـرى : سـأقتلك ـ فاهم ـ سـأقتلك ان سـمعت منك هذا الكلام مرة أخرى . سأقيم سرداقا لأعلن موتك وسـأتقبل العزاء فيك ـ سـأعتبرك ميتا ـ جـثة هامدة. ألست رجلا ؟ ألست رجـلا يعرف كيف يملك زمام نفسه ؟ ألست فلاحا ابن فلاح ؟

أخرج، من بيتى ياكلب ولا تعد إلا بعد أن تبرأ من مرضك.

انتفض ابنها واقفا وهو يبكى بمرارة، إندفع الى الباب ليعود إلى جحيمه وقد وطن نفسه على قبول الأمر الواقع، والواقع أنه يحب بجنون، وبدون أى أمل فى الشفاء إستسلم تماما لشعوره المريض بحب كاذب، المرض الذى يسميه هو حبا، قيد فى عنقه، أغلال فى يده، شعور طاغى لا يريد هو أن يتحرر منه، تذكر قيس عندما أخذه أبوه للكعبه الشريفة وقال له أدع ياقيس أن ينسيك الله حب ليلى، فرفع قيس يديه الى السماء قائلا اللهم زدنى حبا فى ليلى.

ولكن زوجته ليست فى نقاء ليلى وهو ليس فى عظمة قيس.

أمسكت به أمه وهي تصرخ لا ياحبيبى لا تعود إليها، تخلص منهايا مراد ففى هذا نجاتك.

فتح هو الباب بعنف ووقعت جليله هانم على الأرض وهى ما تزال تبكى ظلت هى ملقاه على الأرض وخرج ابنها والإحتمال الغالب أنها لن تراه بعد ذلك كانت تعلم أنها فقدت ابنها إلى الأبد. لن يموت ويا ليته يموت. لكن ذله وهوانه جعلاه فى عداد الأموات. الأنسان الذليل أنسان ميت لا يملك مقومات الحياة، والحياة هى الحرية والحرية هى الحياة وهو ليس حر بل عبد.

سيظل هكذاا حتى بعد تتركه المرأه التى حولته الى عبد.

وبعد فتره سيبحث عن إمرأه أخرى - سجانه أخرى جديدة لتذله مره أخرى بإسم الحب.

هذا هو مراد وهو لن يتغير ولن يتعلم فلقد أحب عذابه وتعود عليه وأصبح يجرى مجرى الدم فى عروقه.

يحب إحساسه بالهوان وهو يسميه حبا ووفاء.عادت جليله هانم الى الشرفه وهى لاتزال تبكى بحرقه. أقدر لها أن ترى ابنها وهو يموت موتا بطيئا أمامها ـ وهى عاجزه، لاتستطيع أن تفعل له شيئا.

وهمست قائلة : إرحمه يارب، هو لا يريد أن يرحم نفسه، إرحمه إنت من عندك يارب نظرت الى جنون المارة تحت فى الشارع حتى إكتفت وأخذت تسآل نفسها : كم عددهم باترى الذين يعانون كما يعانى إبنها ؟فكرت هى : كثيرون ـ كثيرون يعبدون شيئا ما أو شخصا ما، لا يستطيعون منه خلاصا أو شفاء- هم فى الحقيقة مرضى غير أسوياء – والله سبحانه وتعالى لايقبل الشرك به،

نظرت جليله هانم الى كوب الشاى الفارغ. وجدت نمله صغيره تحاول أن تتسلق جدران الكوب من الداخل ولكن بدون جدوى.

وتذكر ت قول المرحوم زوجها : إن الحيوان لاييأس أبدا ـ سبحان رب العظيم يا جليله. الأمل هو جزء من تكوينه.

وترى هى النملة أكلت السكر المذاب فى قاع الكوب حتى إمتلأت. أخذت هى تتأمل محاولات النمله الفاشلة، وهى لاتزال تبكى على ابنها، أكلت النمله السكر حتى إمتلأت وهى الآن تحاول ـ بدون جدوى ـ الخروج من الكوب.

ستظل النملة أسيرة الكوب ، لا تستطيع الخروج منه حتى تموت.

لقد أكلت النملة السكر اللذيذ والآن مثل أى مخلوق آخر يجب عليها أن تدفع الثمن... والثمن باهظا فقد يكون الثمن هو حياتها كلها. لحظات من السعادة ثمنها الموت.

ستحاول وتحاول أن تنجو بنفسها إلى أن تأخذ يد - أى يد - الكوب وتغسله وتموت النملة الغلبانة شهيدة حبها للسكر.

مازالت جليله هانم تبكى وتنظر إلى النمله داخل الكوب، فنرى لعبة الحياه والموت. ولكن الحياه ليست لعبه إلا إذا قيمناها بما تستحق، كما أن الموت ليس لعبة هو الآخر وما تراه جليله هانم هى الطقوس الكونية التى تسبق الموت وتمهد له.

نعم أنها تعلم أن الحياة والموت قدر محتوم فرض على الجميع، ويجب أن نأخذهما بجديه، بالجدية التى يستحقانها. الموت والحياة أيضا أمر جلل.

شعرت - فجأه - جليله هانم بالحنان والحب الرحمة يملئون قلبها وهى ترى محاولات النمله التكرره لتنجو بنفسها، تتشبث بالحياة وتتحدى الموت وتحاول، تريد أن تعيش ربما لتموت فى قاع كوب آخر. موت آخر ينتظرها - ما زال فى طى الغيب.

أمسكت جليله هانم الكوب ووضعته على جانبه ـ خرجت النملة الصغيرة بسرعة فرحة ـ تهتز وترقص فرحة بالحياة.

فرحة بعودتهاإلى الحياة وهى التى كانت قد أشرفت على الموت.

الحياة قاسية ولكنها تريدها كما يريدها الجميع. على أمل.

الأفضل ونجت النملة أخيرا وخرجت من الأسر والضيا ع.

إبتسمت جليلة هانم بفرجة حقيقيه وقد ولد الأمل فى قلبها من جديد. من يدرى ؟

أتمتد يد خفيه ـ لاتزال مجهوله ـ يد خفيه وقادرة ـ تمتد هذه اليد لإنقاذ إبنها برحمة من ربنا ـ كما أنقذت هى هذه النمله. ورفعت السيدة المسكينه يديها ـ تدعو ربها : يارب أنقذه بالرغم منه ـ حتى وإن كره النجاة.

إنقذ ابنى يارب من السكر المذاب فى القا ع.

والحمد لله رب العالمين

٢ ـ كنت أعرفها

عندما رآها لأول مرة، كان شاب يافع لم يتعد السابعة والعشرين من عمره، يعمل بائعا فى مكتبة من مكتبات القاهرة الكبرى المعروفة ـ كان ما زال أعزب لم يتزوج ولكن كانت تربطه علاقة حب قوية بفتاه، ابنة أحد أقاربه.

رأى نور لأول مره وهى فى السادسة عشر من عمرها، دخلت المكتبة وسألت عن كتاب خارجى فى مادة الطبيعة، نظر إليها. لم تكن جميلة ولكن رقيقة ودمثة الخلق ـ تعبير ما على وجهها يجعلك لاتنسى هذا الوجه أبدا والتعبير الذى على وجهها تحتار فى فهمه وتفسيره، خليط من الهدوء والبشاشه والثقة بالنفس ولكن بدون كبر أو عنجهية أو غرور. نظرت إليه وسألته عن الكتاب الذى كانت تريده - تركها وذهب وغاب لبضعة دقائق ثم عاد إليها بالكتاب الذى طلبته، إبتسمت هى بفرحة حقيقيه. فسألها وهو يبتسم هو الاخر : ألم تجديه فى المكتبات الأخرى ؟ لم تجديه أليس كذلك ؟

فأجابت وهى لا تزال تبتسم : كدت أيأس.

فضحك هو قائلا بمهارة البائع الشاطر : اليأس ينتهى عندنا، اتجهى إلينا مباشرة، تجدى ما يسرك.

كان هذا الحديث المقتضب هو بداية علاقة أستموت لمدة ثلاثين عاما.

كانت تتردد عليهم باستمرار وتجد دائما ماتريده. ولم يتعد حديثها معه أو مع غيره أبدا ـ بضع كلمات ـ وكان يشعر نحوها بعاطفة أبوه جياشة ـ بالرغم من أن فارق السن لم يكن بينهما لم يكن كبيرا الى هذا الحد.

كان مثل الأب يرى ابنته النابعه وهى تكبر أمامه ـ تكبر سنا ونجاحا وتفوقا. طالع الصحف يوميا– وقد تزوج واستقر ـ فوجد صورتها فى الجريدة اليومية وأنها إحدى العشر الأوائل فى الثانوية العامة. ورأته زوجته وهو يبتسم بفرحة حقيقية فسألته ما الخبر ؟

فرد ضاحكا : أنه خبر تفوقه إنسان، توقعت له دائما التفوق والنجاح وصدقت توقعاتى.

فسألته زرجته وكيف عرفت أنه سيتفوق ؟ فقال من الكتب اللى بيشتريها.

راقب هو ـ من بعيد نجاحها وتفوقها وعندما كبرت قليلا، كان يرى على وجهها تعبيرا اشبه بالتعبير الذى تراه على وجه الشهيد قبل أن يلاقى ربه. وهو يموت فى سبيل مبدأ ـ مبدأ يراه هو أغلى من الحياة.

هى كأنها شهيدة رساله ـ رساله وقضيه هى على استعداد لأن تموت فى سبيلها الا أن علاقتها ظلت علاقة البائع والمشترى ـ لاتتعدى الإبتسامة والحديث أو الحوارالقصير ـ وكله ـ كل حوارهما عن الكتب والكتاب.

أخذ طوال هذه السنين يبحث عن خاتم الزواج فى يدها، فلا يجده، استشاط غضبا من أجلها ويسببها وكان يقول لنفسه :هذه البلهاء تضيع سنوات شبابها بدون وزواج وكان يعرف ـ عن تجربة ـ أن الحياه بدون حب لاقيمه لها.

إلا أنها بعد أن نالت الليسانس، رأها تدخل المكتبة ضاحكة وبصحبتها شاب وسيم، فابتسم هوفرحا من أجلها ابنته العزيزة قد قررت أخيرا أن تعيش حياتها وها هى تتزوج إلا أن هذه السعادة ـ كانت قصيرة الأجل فلقد توفى خطيبها فى حادث ورأى هو صورته فى الجريدة اليومية. ثم بعد أيام قليلة بعد الحادث رأها وهى تدخل المكتبه وعلى وجهها تعبير من الحزن العميق. وهى فى فرحها وحزنها لاتنس القضية التى من أجلها تعيش.

وقال هو لنفسه : لم تُخلقى للحب ولكنك خُلقت للتضحية. ولكن التضحية ايضا حب. وما زال وما زال هو يتابع نموها ونجاحه وتطورها وتجرأ هو فى يوم من الأيام وقد أصبح الحزن سمة من السمات الدائمة على وجهها وقال لها : الدنيا لا تستاهل.ثم تجرأ أكثر

وقدم لها كتاب عن قصة حياة مارى كورى قائلا : تحية من علماء الماضى لعلماء المستقبل. قالت برقه : يجب أن أدفع ثمنه. فقال هو : أنه عُرف وتقليد أن المكتبة تمنح كتابا بالمجان لأى عميل بعد تعامله مع المكتبه لمدة خمس سنوات، وكان يكذب ولقد دفع ثمن الكتاب من جيبه الخاص ولكنها صدقته وأخذت الكتاب وهى تشكره.

وراها تكبر وهو يكبر معها مركزها العلمى والأكاديمى حتى أصبحت واحدة من القلائل فى العالم من علماء الذرة. وهى فى صمت وعلى إستحياء تنال الشهرة والمكانة الممتازة فى مجالها العلمى. لم تطمح هى لهذه الشهرة لم تبحث أيضا عن المجد الذى حققته بدون أن تسعى اليه.

كل ما كانت تريده هو الإستمرار فى نيل هذا الغذاء العقلى والروحانى الذى تجده فى الكتب والمراجع الأبحاث فى هدوء وصمت.

رأت فى يوم من الأيام بطاقتين مكتوب عليهما « قل رب زدنى علما »

والثانية « انما يخشى الله من عباده العلماء »

فقالت له بهدوء : أريد أريد أن أشترى هاتين البطاقتين من فضلك.

ثم أضافت بخجل وحياء : سأضعهما على مكتبى.

لم يكن أحد يعرفها فى بلدها. بالرغم من شهرتها فى الخارج. وطوال هذه السنين كان بينهما شبه صداقه عميقه ولكنها علاقه صامته غير معلنه. كم تمنى ان تسمح له بتطوير علاقتها فيعرفها على زوجته وعلى أولاده. ولكن كان هناك فى عينيها تحذير ربما لم تكن تشعر هى به ولكنه فى عينيها تحذير صامت : لاتقترب ـ لاتقترب أكثر من ذلك ـ فهى ليست لك ولا لغيرك. مرض هو غاب عن المكتبة لمدة شهر فأرسلت له ـ بعد أن أخذت عنوانه من المكتبة ـ أرسلت له بوكيه ورد صغير وعليه كارت صغير فيه اسمها فقط « نور » بدون لقب الأسرة أو حتى أستاذه أو الدكتورة فقط « نور » وعلى الكارت تمنياتها بالشفاء وبتحياتها للأسرة.إذن هى تعترف بصداقتهما وقد حصلت على عنوانه من المكتبة.لقد تحملت كل هذه المشقة من أجله، حب الابنه لأبيها ولكنه حب ابنه بعيدة عن أبيها وبعيده عن الجميع تعيش فى عالم آخر، عالم آخر لايعرفه إلا القلائل من البشر. هم الصفوة ولكنها أيضا لاتنسى حق الصداقة حتى ولوكانت صداقة صامته لاتعبر عن نفسها.

عجز هو عن تفسير ما يربطهما. هذه العلاقة الغامضة، لم تكن حبا، لم يكن حب رجل لإمرأه أو حب إمرأه لرجل وانما هو فقط احساس صادق وعميق بين إثنين من البشر جمعتهما الأقدار فى طريق واحد.إنقطعت أخبارها بعد أن بلغ سن التقاعد ولم يعد يذهب الى الكتبه ونسيها فى غمرة مشاكله وأحفاده، ومشاكل ومشاغل

الدنيا والحياة اليومية.

وفى يوم جاء أحد أحفاده بكتاب فلورنس نايتنجيل، المرأه التى كرست حياتها لتخفيف آلام البشر وخاصة المرضى منهم قرأ هو الصفحات الأولى فتذكر نور تلميذة الأمس وعالمة اليومُ الغد ثم نسيها مرة أخرى ـ الى أن طالع الجريدة اليومية فى صباح يوم حزين فوجد فيها خبر وفاتها فى صفحة الوفيات.

ردد : نور ـ نور ـ نور

هل حقا إنطفأ هذا النور ـ فجأه إنطفأ كل هذا النور.

بضعة كلمات قليلة وهزيلة تنعى للعالم ليس فقط خبر رحيل عملاقه من عمالقة العلم فى العالم ولكن أيضاً خبر رحيل إنسانه عرفت كيف تحقق إنسانيتها على الوجه الأكمل. العالم الذى لم تكن تريده هى ولم تكن تهتم أن تعرفه أو بعرفها .نظر الى زوجته بحزن حقيقى وأشار الى الخبر قائلا بصوت مزقه الألم : كنت أعرفها ـ الله يرحمها ويسكنها فسيح جناته.

وهى ـ نور ـ لم تكن تريد أكثر من هذه الكلمات، كلمات صادقة من صديق مخلص.

الحمد لله رب العالمين

٣ ـ غاب فجأة

ولد نبيل كفيفا. وحرم من أهم حواسه وهى القدره على الأبصار. كان محط حنان وحب الجميع، والديه واخوته وحتى جيرانه وكل معارفه. عرف وهو فى السابعة من عمره أن الناس يتمتعون بقدرة معينه، حرم هو منها ولايدرى السبب.

كثرت أسئلته فأسرعت أمه تقرأ له فى المصحف الشريف وذلك حتى لا تزداد حيرته وقلقه وشعوره بالظلم فعلم أن لله سبحانه وتعالى حكم لاندركها نحن البشر، ولكن سؤاله ظل كما هو : هل فقدانه وحرمانه من بصره عقاب ؟

فترد أمه بلهفه لا ياحبيبى ولكنه إبتلاء وأكثر الناس إبتلاءهم الأنبياء والصالحين.

وفى الخامسة عشر من عمره سأل : هل هناك نساء وفتيات حقيقة ؟ وما هو شكلهن وما هى الفروق بين الرجال والنساء ؟ وما هو الجمال ؟ وأوصاها أن تجيب بصراحة ؟ هل هو (طبقا لمقاييس البشر للجمال) ـ هل هو جميل أو قبيح ؟وكانت مثل هذه الأسئلة تعصر قلب أمه من الحزن والآلم وتجيبه وهى تكتم صوتها الباكى ، حتى لا يدرك مدى حزنها عليه :

لا يقال عن الرجل أنه جميل ولكن يقال عنه أنه وسيم فالجمال للنساء والوسامة للرجال ، ثم أضافت بحنان وأنت وسيم ياحبيبى.

وبدأت خلوته مع نفسه فى غرفته تزداد شيئ مبهم وغامض كان يوحى له دائما أنه لم يولد للحب وأنه لن يجد فتاه أو إمرأه تحبه . وبدآت رحلته مع العلم ولقد كانت رحلته مع العلم والثقافة والحكمه هم تعويض ربنا له. وكانت أمه تقول له بفرحة أنت أكثر أبصارا من بعض المبصرين وبدأ يشعر برحمة ربنا وكرمه فازداد انكبابة على الكتب والمراجع وازداد تقربا إلى الله.

أمه تقرأ له كل ما يريد قراءته وأصبح متفوقا يشهد له الجميع بالنبوغ والعبقرية وكانت غرفته تواجه سطوح العمارة المواجهة لبيتهم. وفى غرفة صغيره على السطح كان يسكن سيد ، فراش فى شركة وإمرأته تعمل خادمه عند كل سكان العمارة. وكان نبيل يستيقظ فى الساعة السابعة صباحا على صوت سيد وهو يصييح غاضبا يطلب من إمرأته أن تسرع بإعداد الإفطار قائلا : سأتأخر على الشغل يابنت الكلب. وينام نبيل أيضاء فى الثالثة صباحا بعد أن يسمح سيد بأمر زوجته قائلا : تعالى ننام بأه ياوليه.

وكان نبيل يبتسم وينام هو أيضا أصبح سيد وأمرأته جزءمن حياة نبيل ـ يستيقظ نبيل وينام على صوت سيد.

ويسمع أمه وهى تقول عندما تسمع سيد : ياساتر يارب الراجل

ده لن يبطل صياح وسباب ؟ فيرد نبيل وهو يبتسم : أتركيه يا أمى فهو يحب بطريقته الخاصه.

مع كل هذا فإن زوجة سيد تحبه وتعبده كما لو كان آلها يسير على الأرض، وكان نبيل هو أول من يعلم أن زوجة سيد حامل ويسمع نبيل سيد وهو يقول لزوجته وهويضحك من قلبه :

عملتيها يابنت الكلب. وكان نبيل أيضا هو أول من يعلم أنها أنجبت بنتا، ثم تلتها بنت أخرى ثم ولد ثم ولد ثانى.

والعجب أن نبيل لم يحاول أبدا ـ خلال هذه السنوات الطويلة التى مرت ـ أن يذهب إلى العماره المجاورة وأن يصعد السطوح ويتعرف على سيد وزوجته.إكتفى نبيل بالأصوات والنبرات وأصبح خياله مليئا بحكايات سيد وآماله وطموحه، وكان نبيل يسمع سيد وهو يحكى لزوجته حكايات يومه كله، ثم يسمعه نبيل بعد أنن يفرغ من كل حكايته يقول لزوجته عبارته التقليديه المعتاده : تعالى ننام باءه يابنت الكلب.

ويربى سيد أيضا أولاده بطريقته الخاصه ، بطريقه يمتزج فيها الحب والشدة.

أدخلهم جميعا المدارس حتى نالوا شهادات جامعية. وكان يأخذ أجازته السنوية فى الشهر الذى يمتحن فيه أولاده، لينظم لهم كل شىء وييسر عليهم ما يلاقونه من مشقة وجهد.

ويطلع تحويشه العام كله ويقول لزوجته : العيال لازم فى الشر ده يكله لحمه كل يوم، دول بيمتحنه ياوليه.

وقد نالوا جميعا شهادات جامعية إلا ولد واحد فشل فى دراسته فالحقه بورشة قائلا له : إنت أخذت حظ أبيك يابن الكلب، ثم يضحك مع ابنه قائلا : وأبيك سعدالحظ فلا تحزن. وعندما كان أحد أولاده يأتى اليه فرحا ليخبره بأنه قد نجح فى الإمتحان تقبله سيد يقبله قائلا شاطر يابن الكلب، طالع أحسن من أبوك.

الحمد لله رب العالمين.

ويسمع نبيل سيد وهو يصيح فى أولاده قائلا لهم بشدة : ذاكروا، ذاكروا وإلا قطعت رقابكم ياأولاد الكلب. وعندما وصل أكبر أولاده للمرحله الإعدادية صاح سيد فى زوجته : مفيش شغل فى البيوت بعد كده ياوليه.

وتقول هى بذعر تسأله : ونجيب فلوس منين ياسيد ؟

فيقول وهو غاضبا : لا تفكرى ياوليه وربنا هو الرزاق الكريم، وسأبحث عن عمل بعد الظهر.

ومرت السنوات الطويلة وسيد يشقى ولكن سعيد، سعيد بطريقته الخاصة فراش فى شركة ولكن ملك داخل حجرته وبين أولاده يستمد منهم الأمل والفرحة.

وذات يوم حزين لم يسمع نبيل صوت سيد المألوف بدلا منه سمع صوت نحيب وصراخ، وتحرك خيال نبيل وهيىء له أنه سمع صوت سيد وهو يقول لزوجته وأولاده : كفايه بأه بكاء بأه يابنت الكلب ولكنه تأكد أنه لم يكن صوت سيد ولكنه كان خياله ليس إلا فجأه وعلى غير توقع، مات سيد.كان نبيل يعتقد أن سيد خالد لايموت، لم يكن سيد مجرد إنسان بل لقد كان صرح. صرح كبير وعظيم.

بكى نبيل قائلا : بعدك ياسيد سينضب خيالى وتفتر حواسى.

بكى على سيد ـ سيد الصديق الغريب، ولم تعد دنيا نبيل دنيا بدون سيد.

وهمس نبيل وهو يسمع أصوات البكاء والصراخ : فجأه ـ فجأه كده ياسيد ؟

٤ـ ربنا يصبرك ياكوكو

أخذ أبى يحكى وأنا فى الثامنه من عمرى حكاية من حكاياته المذهله. لقد عاش فى بلد من البلاد الإفريقية لمدة ثلاث سنوات وكانت كل حكاياته واقعية وتفصيلية، لايخفى منها عنى الا ماقد يؤذينى وانا طفلة أو يؤلمنى وكان يعلم أننى أحب الحيوانات بشتى ألوانها، انواعها ولذلك فلقد كان يحكى لى عن الحيوانات التى رآها هناك. بعضها توضدت صلته بها وأصبحوا أصدقاء.

وذات مرة وبدأ أبى يحكى : لقد حكى : لقد حكى لى الاهالى هذه القصة عن إثنين من الببغاوات، احداهما ذكر، والآخر انثى، وكانا أخواتا ولدا من نفس الأم ونفس الأب.

تركتها أمهما بعد أن تأكدت ـ كعادة كل الحيوانات ـ أن أولادهم لا يستطيعون الإعتماد على أنفسهم. وجاء ناهب الغابات ـ وهكذا كانت الحيوانات ـ فى الغابه والتطفل على سكانها. كانت أمهما قد حذرتهما مرارا وتكرارا من أخطار كثيرة قائله لهما : قد يحاول حيوان أكبر منكما أن يأكلكما فحذار أما الخطر المحدق بكما حقيقة ـ ياأولادى هو ناهب الغابات الذى يأتى لاليقتلكما بل ليسلبكما حريتكما الى الأبد. فحذار ياأولادى من ناهب الغابات أكرهاه كما تكرهان الموت وأكثر. ففى الأسر تصبح الحياة كالموت أو أشد. ونحن

خلقنا لنكون أحرارا.

ذهبت الأم وجلس الصغيران يناجيان بعضهما البعض، أتخذ الذكر الأنثى وليفه له يحبها وتحبه، لايتركها ولاتتركه أبدا فالحياة بدون حب لا معنى لها. الحياة بدون حب صحراء جرداء يموت فيها الإنسان عطشا وجوعا.

وكانا يعلمان هذا لقد علمتهما أمهما ذلك قائلة : أتخذ من أختك وليفه لك فهكذا تستقيم الحياة، حياتك وحياتها.ثم جاء ناهب الغابات على قدر وضاع كل شيء، ضاع الأمل وضاعت الحرية وضاع الحب أيضا.إبتسم ناهب الغابات إبتسامه صفراء خبيثه قائلا لهما : لن تفترقا فاحمد لله على ذلك. وهذا يكفي فاقنعا وافرحا فالأسر أيضا له مميزات. أنا أو افقكما على أنه حب كسيح، حب بين الأسوار، سيحبكما الناس اللذين سيمتلكونكما، سيكره بعض الأشرار لن تريا أسودا أو فهودا، بل حياة أمنه.

وضحك الرجل ثم أضاف : حياه آمنه إلا من غدر الإنسان، وغدر الإنسان أشد فتكا من الأسود والفهود والنمور قد لا يحبكما الناس هناك وهنا تقع الكارثه، فقد يعطيكما لأناس آخرين ويجب أن تكدحا حتى تنالا محبتهم، يجب أن تغنيا وتغردا، يجب أن ترقصا فى القفص يجب أن تتحدثا كما يتحدثون وبلغتم هم ويجب أن تظهرالهم سعادتكما البالغة بوجودكما معهم حتى ولو فى قفص، وحتى وأنتما

تعسـاء وتصبح الحياة تمثيل فى تمثل ونفاق وكذب من أجل لقمة العيش. اغفرالى لأننى سلبتكما حريتكما وأنا أعلم أن الحريه هى أثمن ما فى الحياة، ولكننى أيضا أريد أن اعيش، كلنا نريد نعيش يا أصدقائى حتى ولو كان ذلك على جثث بعضنا البعض.

ظلا مع ناهب الغابات وهما يكرهاه كراهية شديدة، وفاجأهما ذات يوم قائلا : يجب أن تتعلما الكلام حتى أبيعكما بسعر غالى. وعلمهما أن تقول الأنثى أنا اسمى كوكو وأنا أحبكم جدا ولا أقدر على فراقكم وسأفعل كل ماتريدون منى أن افعله. ثم تصفر صفارة طويلة معناها شكرا على كرمكم. ثم بعدها تقفز وترقص فى القفص حاول الرجل أن يعلم الذكر أن يقول : أنا بروتس ولقد إشتركت فى قتل صديقى وسيدى يوليوس قصير لأنه كان ديكتاتورا .رفض الذكر بأباء وشمم، رفض أن يتكلم أو يرقص. منع الرجل عنه الأكل حتى أوشك على الموت. ولكنه رفض وأصر على الرفض. أخذ منه أنثاه كوكو ولكنه رفض توقف الرجل عن تعذيبه يائسا منه قائلا له : لن يتحملك أحد وأنت لاتحاول أن تضحك من يمتلكك وقد تفقد أنثاك الظريفة كوكو. أهى الكرامه ياصديقى؟ أم أنك تريد ابهار الأنثى الى معك؟ نطق الذكر أخيرا قائلا : أنا لست ملكا لأحد، ولايمنعنى عن فعل ماتريده أن أفعله هو شئ لا تستطيع أنت أن تفهمه. فقال ناهب الغابات مذهولا : إذن أنت تستطيع أن تتكلم. وتستطيع أيضا أن تفكر. هه ؟ ولكن كلامك وتفكيرك لن يجلبا لك إلا

التعاسة ايها المغرور.

أهو حزنك على حريتكما يا صغيرى ؟ اهو الحب ؟ وكرر ناهب الغابات سؤاله أهى الحريه والحب ؟ هه ؟ أهى الحريه والحب ؟ وأنت تريد أنت تكون مثلا أعلى لانثاك هه ؟

مرت الأيام ووجدا أنفسهما فى قفص صغير عند عائله ثريه. كوكو خائفة علي نفسها تقول : أنا اسمي كوكو ثم تقفز وترقص رغم الآلم.

ضحك الأطفال والكبار ويقول أحد الأطفال : انا بحب كوكو ولكننى لا أحب الآخر فهو ثقيل الدم لا يتحدث ولا يرقص، أعطى أكل لكوكو أكثر منه ياماما. أنا لا أريده.

ردت الأم : معلش ياحبيبى سيتحدث هو الآخر فقط أعطيه فرصه أعطيه مهله. وأدعك إن لم يتحدث ويرقص زى كوكو سأعطيه لابن خالك هشام.

فا ل الصبى المدلل مرة أخرى : نعم أننى لا أحبه.

ثم قالت أخته : كوكو ظريفة ولكن الآخر دمه ثقيل.

وترد الأم : لا تجرحا كرامته وأعطياه مهله ليتعلم .

ويسمعوا كوكو تقول وهى ترقص فى القفص الصغير: أنا اسمى كوكو وأنا أحبكم، كوكو تحبكم.ثم تضيف : كوكو جعانه ـ

كوكو جعانه.

ويضحك الحاضرون ويعطوها شيئا تاكله.

وتقول هى للذكر. وهى تهمس بعد أن ينام الجميع : أكلهم لذيذ. أكلهم حلو. ويرد الذكر بصوت عالى ولكنه مسموم.

وينطق الذكر بصوت عالى وغاضب : الحرية والحب ـ الحرية والحب.

وفى يوم حزين بعد أن نام كل ما فى البيت الكبير، اقترب الببغاء الذكر من كوكو ووضع خده على رأسها قائلا بلغتهما وليست بلغة مالكيه. وفى يوم حزين بعد أن نام كل ما فى البيت الكبير، اقترب الببغاء الذكر من كوكو ووضع خده على رأسها قائلا وليست بلغة مالكيه. قال وهو يبكى : وداعا ياأختاه، أن الرجال لاتعيش في الأسر. تذكرى الحريه والحب.

ثم وضع رأسه الصغيرة فى مسقاة الماء وقتل نفسه منتحرا، رافضا كل ما تركه بالموت ، تاركا كوكو للزمن تواجهه بمفردها.

صاح الصبى المدلل وهو يرى جثمان الببغاء الميت : لقد مات ياماما ثقيل الدم قد مات ويسمع الجميع كوكو وهى تقفز وترقص فى القفص وهى تبكى بدون أن يرى دموعها أحد وهي تقول لأول مرة ما كان يجب أن يقوله وليفها : ولكنه رفض : أنا بروتس ولقد قتلت

صديقى و سيدى يوليوس قيصر لأنه كان ديكتاتتورا .

وكما لوكانت هذه الكلمات ستعيد أخيها ووليفها اليها .

ويسأل الصبى : ماذا تقول كوكو ياماما ؟ وترد الأم ضاحكة :

أى كلام.

ويضحك الجميع وقد نسوا جثمان الببغاء الميت وهو لا يزال فى

القفص. وكوكو فى القفص تبكى وترقص.

٥ ـ الإنتصار

جلس فى الطائرة، أغلق عينيه ووضع فى أذنيه قطعتين صغيرتين من القطن لم يكن يريد أن يرى أو يسمع. كان يريد العزله فى مكان لا يسمح بها لأحد ولكنه إغتصبها إغتصابا رغم إرادة الجميع. نسي من معه أو تناساهم ووجودهم يضايقه رغم حبه لهم.

أخذ يفكر فيها. لقد نسيها : أو كاد حبه الأول ـ ليلى ـ لا لم تكن حبه الأول بل حبه الثانى.

أما حبه الأول فقد كان مدرسته فى المدرسة الإعدادية أحبها فى صمت وهو فى حالة ذعر من أن يكتشف أحد حبه لها، ولقد كان حريصا للغاية لؤم الصبيه والفتيان فى أول أطوار الشباب ـ فكلما جاء ذكرها على ألسنة زملاءه ذمها وأمام الجميع وكان الحب وقتها أحد المحرومات أو كما يقول الإنجليز{ATaboo} وكانت معظم مدرساته إنجليزيات لكنه أحب مدرسته المصرية، ولم يكن يعلم السبب بالرغم من أنها لم تكن أجملهن ولا أظرفهن وأخذ يفكر فى حبه الثانى ليلى لقد كان حبهما فى البداية رائعا الى أن تحول قلبها وأحبت رجلا آخر سواه فانقلب الحب ليصبح حب من طرف واحد وأصبح الحب من جهته ذلا وعذابا.

ولم يكن يعرف الذل إلى أنه ذاقه على يديها. لم ترحمه وبسادية

شديدة قضت عليه وعلى أحلامه. أصيب بانهيار عصبى حاد ودخل مصحة للأمراض النفسيه عولج هناك ولم يبق فى قلبه إلا رغبه جياشه فى الإنتقام منها وقال له طبيبه فى المصحة : عندما تكف عن رغبتك فى الإنتقام منها فاعرف انك برأت من حبها تماما.

والحب اذا مات لا يستطيع أحد أن يحيه ولقد مات حب ليلى له، وهى بعيدة المنال وفى عصمة رجل آخر تحبه ويحبها ويعيشان هناك بعيدا فى إحدى الدول العربية.

كانت آخر كلماتها له : لا أريد ان أراك مرة أخرى . الا تفهم اننى اكرهك واحتقرك، فكف عن مطاردتك لى فى كل مكان.

شعر بدموعه تسيل على خديه وهو جالس فى الطائرة مغمض العينين.

انه لايبكى على الحب الذى مات فى قلبها وولى ولكنه كان يبكى على كرامته كرجل وكإنسان.

ود لو رآها الآن بعد أن مات الحب فى قلبه وتذكر كلمات الطبيب له فى المصحة : ستعلم أن حبك لها قد مات وانتهى عندما تفقد رغبتك فى الإنتقام منها.

شعر أن انسان ما يحدثه فنظر فوجدها مضيفة الطائرة. تريد أن تضع العشاء أمامه ، فقال لها بصوت واهن : شكرا لا أريد

شيئا.

فقالت المضيفه وهى تبتسم : سعجبك الأكل جرب.

فرد هو بزهق : قلت لكى لا أريد شيئا شكرا.

تركته المضيفه وهى تبتسم : نعم هو ذاهب الآن لنفس البلد التى تعيش فيها ليلى ـ حبه القديم سيؤدى هناك عملا لمدة شهور قليلة. ليلى حبه القديم والوحيد، فحبه للمدرسة فى المدرسة لم يكن حبا بل عبث ولهو الصبية الصغار.

ليلى ـ وفكر : أيبحث عنها ويقتلها ؟ وأبتسم لفكرة قتلها بيده أو بيد غيره ثم قال لنفسه : لا. لا تستحق أن ألوث يدى بقتلها. وصلت الطائرة وهبطت على أرض المطار بسلام وفكر : كلها شهرين أو ثلاثه بالكثير ويعود إلى وطنه.

لا يعرف قصته مع ليلى إلا صديقه سعد الذى كثيرا ما حمل خطاباته إليها.

ولطالما قال له سعد : لاتستحق أتركها. انهيا اجراءات الدخول بسرعة وسعد معه .

نزلا فى فندق فخم على حساب الشركة التى يعملا ن من أجلها.

قال له سعد : لتأخذ دشا سريعا ثم نذهب لنتفقد المكان ونبحث

عن شيء نأكله : أسرع يافكرى أنا جائع. ذهب فكرى إلى غرفته ـ دشا ساخنا بدد عنه الشعور بالتعب والإحباط.

أخذ ينتقى ملابسه بعنايه وكأنه ذاهب لمقابلتها.

كان فى الماضى عندما عرفها لا يهتم بمظهره وكان يقول دائما لنفسه الجوهر أهم وأبقى.

وعندما كانت تحبه، كانت تهديه فى المناسبات أحيانا رباط عنق وأحيانا قميصا.

وكان يسألها بغيظ : أتظنين أننى غير قادر على شراء مثل هذه الأشياء ؟

الجوهر أهم وابقى ليتكى تهديننى كتابا لسعدت بهديتك أكثر.

وعندما رأت هى الرجل، الآخر، الرجل الوسيم الأنيق المتعطر دائما بهرها بمظهره وأحبته على الفور، وباعت الجوهر والحب. وكل ما كان فكرى يؤمن به أنه الصواب.

تعلم فكرى الدرس واستوعبه جيدا، أصبح ماهرا فى لعبة المظاهر والمظهر ولكن بعد إن مات حبها له ـ بعد فوات الأوان.

وأصبح الآن إهتمامه بمظهره مبالغا فيه وسط ذهول كل من عرفوه فى الماضى.

وكان سعد يقول له : فتره من الزمن ليس إلا ـ وستعدى على

خير إن شاء الله وتعود يافكرى لأصلك ومعدنك الطاهر والنبيل والأصيل.

والستات يابنى على قفا من يشيل . أخيرا إرتدى فكرى ملابسه وكأنه عريس ذاهب للقاء عروسته وحبيبة قلبه.

أعترف يافكرى : سمع نفسه يقول أعترف : أنت لاتزال تحبها.

أنت سجين وهى فقط التى تملك مفتاح سجنك. لا بل أنت لاتريد أن تحرر، بل وتعشق عبوديتك لها.

وفكر قائلا : نعم لن يشفينى إلا موتها. ثم يقول لنفسه وهو يبتسم فى يأس : بل ان موتها قد يحيى حبى لها.

نظر فكرى الى السماء قائلا : يارب حررنى، لقد طالت مدة سجنى فحررنى.خرج من غرفته واتجه الى المصعد.

وصل المصعد ودخل فكرى ورآها أمامه ـ ليلى ـ بلحمها وشحمها. ظل فى ذهول لمدة ثوانى لا يدرى ماذا يفعل أو ماذا يقول.

راها تبتسم باستخفاف وإحتقار : إزيك يافكرى. أما زلت تلاخقنى وتطاردنى ـ مفيش فايدة يعنى ـ مفيش فايده يعنى ـ ابعد عنى ـ فاهم.

إبعد عنى.

شعر بالجنون يجتاحه وهجم عليها وأخذ يكيل لها اللطمات،

قائلا بهستريا سأقتلك يامجرمة يا.... يا.... يا....

أخذت المرأه تصرخ وتصيح وتقاوم لطماته ولكماته قدر استطاعتها.

وصل المصعد للدور الأرضى، ودخل الناس وعلى رأسهم سعد وخلصوا المرأه من بين يديه.

وصاح هو بجنون : أخيرا فعلت وقلت لها ما تستحقه. المجرمة. المجرنة. دعونى أقتلها.

صاح سعد بذعر : عد إلى رشدك يافكرى. انها ليست ليلى، ليست هى، أنها إمرأه أخرى. ألا تفهم أنه خيالك قد صور لك إنها ليلى ليست هى يامجنون.

صاح فكرى : أنت كاذب. لا. لا تقل لى أنها ليست هى - أنها هى - ليلى لقد أنتصرت عليها أخيرا - أخيرا. لقد رأت هى حبى لها وقد تحول إلى كراهيه واحتقار.

نقلوه الى أقرب مستشفى فى حالة إنهيار تام.

جلس فكرى فى غرفته وقد إستعاد هدوءه وأبتسم بيأس قائلا لنفسه : حتى إنتصارى الواهن الهزيل كان إنتصاراً على وهم.

وأموت أنا كل يوم وتعيش ليلى فى عقلى وقلبى.

٦ـ زغلول ضاع

إستيقظت من نومها فى الساعة السابعة صباحا كما تعودت كل يوم. جلست فى البلكونه المطله على الحديقة كالعادة، تشرب فنجان القهوة ومعه تدخن سيجارتها الأولى ـ حياتها ـ حياتنا كلنا عبارة عن مجموعة عادات ـ الجديد فيها قليل إلا إذا حدثت ـ فى حياة أى واحد منا نقطة تحول تغير حياته كلها.

كانت هناك وفى الحديقة ـ قطة سوداء تعرفها وقد أنجبت قطة سوداء وقطة رمادى. بعد أن أرضعت القطة الأم طفليها أخذت تلعب معهما ـ فالحيوان أيضا يعرف ـ ربما أكثر من الإنسان ـ أن الطفل أى طفل حتى ولو كان مجرد رضيع – يحب اللعب ربما حبه للقمة العيش أو أكثر.

أحبتهم سوسن، أحبت القطة وطفليها ـ فهى تحب الطفولة فى أى كائن حى ـ أصبحت القطة وأولادها تسليه يومية ظريفة لسوسن.

بعد أيام قلائل إختفت الأم تركت طفليها ـ بعد يومين من إختفائها أيقنت سوسن أن شىء ما قد حدث للقطة الكبيرة والأغلب أنها ماتت فالحيوان لا يهجر أطفاله أبدا. حزنت سوسن ومن منا لا يحزن للموت ولليتم حتى اللحظات من السعادة البريئة لاتدوم ولا بد للفرح من أن يتبعه حزن.

أخذت سوسن القطة السوداء الصغيرة وأخيها الرمادى ووضعتهما على سطوح البيت. فى مكان آمن. وبدأت فى اطعامهما لبن وسكر ويانسون.

كبرا بسرعة وأصبحا يلعبان معها كلما طلعت لهما السطوح ـ فسوسن هى الأم أو البديل للأم فى نظرهما، فهى مصدر الطعام وهى مصدر اللعب أيضا.

ولكنهما لم يحاولا النزول أو الهبوط للأدوار السفلية. ظلا يعيشان بعيدا عن كل مخلوقات ربنا، لا يعرفان ولا يحبان إلا سوسن. وظلت سوسن ترعاهما، سعيده بهما سعيدة أن يثق فيها مخلوق برىء كل هذه الثقة وأن يحبها كل هذا الحب. وكان عليها أن تأخذهما تحت بالتدريج حتى يريا الناس ويتعودان على المخالطة بغيرهما من مخلوقات الله سبحانه وتعالى أن يواجها الحياة ويتعلمان كيف يعيشاها كما هى بكل أحداثها ومفاجآتها وأحيانا أحزانها وصراعاتها.

وكان يتملكهما خوف شديد كلما رأيا قططا أخرى فيجريان ويختبئان وراء الأشياء حتى تنصرف القطط الغريبة. سمت سوسن الذكر زغلول والأنثى نجرو. وعرفا اسميهما فكان يأتيان كلما نادتهما سوسن. وهذه كانت أول خطوه لاخراجهما من البرج العاجى العالى الذى يعيشان فيه، يجبرهما خوفهما من المجهول على الرضى بالعزلة

وقبولها كأمر واقع.

وكانت سوسن تريدهما أن يريا كفاح غيرهما من القطط والبشر وهم يتعاملون بمنهج الأرض وناموسها وشرعها الغريب.

ثم فجأة ماتت نجرو وأصبح زغلول وحيدا فوق السطوح لا يراه أحد ولاهو يرى أحد إلا سوسن.

فتعلق بها تعلقا شديدا وتعلقت به هى أيضا. وأحيانا كانت تنسى نفسها وهى تلاعبه، فينسيان هى وهو شرع الدنيا وغدر الزمن ولو لبعض ساعات.

كانت هى تسأل نفسها : ياترى يا زغلول كيف بررت لنفسك وربما فلسفت إختفاء أمك ثم إختفاء أختك فجأة وعلى غير إنتظار ؟

وزغلول يلعب سعيدا معها، قانعا بالرغم من الموت الذى فرض نفسه على حياته.

كان يريد أن يجذب سوسن لملكته العلويه الخاليه من كل أحد وكأنها الجنة فى بدايتها لا يشغلها غير آدم.

وسوسن تحول أن تجذبه للحياة والدنيا ليختلط بالآخرين.

وكانت عندما تناديه من تحت لينزل، يرفض النزول وكأنه يقول لها إطلعى أنتى فوق.

وتفكر ثم تقول له أأترك الدنيا من أجلك يازغلول ؟

وعندما تصر وتلح وتناديه مرات ومرات ينزل هو على مضض. ولكن صحبة سوسن كانت ترضيه وتكفيه. الى أن جاء اليوم ـ اليوم الذى يواجهه كل مخلوق من مخلوقات ربنا. سنة الحياة ومنطقها. جاء اليوم الذى كان على زغلول ان يهبط إلى الأدوار السفلية ليبحث له عن أنثى يتزوجها

وسوسن لا تستطيع أن تمنعه. كانت تخاف عليه من الهبوط ولكنها لا تستطيع أن تمنعه . فهى غريزة فى الحيوان. غريزة غالبه لا يفيد معها التدخل أو التحكم.

لا يفيد معها التسامى الذى تلجأ إليه قله نادرة من البشر.

جاء اليوم الذى رأت سوسن زغلول وهو واقف أمام أنثى فى الحديقة، وحول الأنثى ذكور أقوياء يحومون حولها ـ يحيطون بها من كل جانب ـ وكل ينتظر دوره. والأنثى تتمنع فى دلال.

وقف زغلول لبضعة ثوانى ثم اتجه نحو الأنثى ـ هو يريدها وها هو فى طريقه اليها وهو لا يعلم مدى خطورة الذكور الذين يحيطون بها كل منهم خائف من الآخر ويترقب الموقف فى حذر. إتجه زغلول نحو الأنثى

رأته سوسن فصرخت تناديه إطلع يا زغلول إطلع. وفى لمح البصر رأت سوسن الذكور الأقوياء وهم يهجمون كلهم على زغلول، كانوا أقوى منه وكان هوأقلهم وأصغرهم جسدا، لكنه لم يبال ـ ولم

تكن شجاعة ـ لأنه لم يكن يعرف ماهو مقدم عليه.

هجموا كلهم على زغول الغلبان، الذى تجرأ وأعتبر نفسه ـ وهوالضعيف ـ ذكرا مثلهم له الحق فى الحب والحياة قاوم زغلول وسوسن تصرخ من البلكونه : إبعد يازغلول ـ إرجع. إطلع فوق.

ومازال زغلول يتمسك بالحياة حتى وهو يموت ولقد واجه زغلول الموت من قبل ـ موت أمه ثم موت أخته وها هو الآن يواجهه بنفسه ولا مفر ولا مهرب.

نظر الى الأنثى بنظرات متضرعه ومتوسله يرجوها أن تحبه كما أحبها ولو مجرد لحظات قليلة.

وسوسن فوق تبكى على حبيبها زغلول الذى مات حتى قبل أن يعيش وهو بغريزته فضل الهبوط الى أسفل ولم يرضى بالحياة فى الأدوار العلوية. وتذكرته سوسن وهو صغير يلعب مع إمه وأخته لكنه كره عزلته وهجر جنته وهبط الى أسفل.

٧ـ امنا الغولة

كان عمرها تسعة سنوات، أما هو فكان فى الثانية عشرة من عمره، فتاه وصبى صغيران ما زالت البراءة والطهارة تملأ وتملك كل تفكير هما وقلبهما.

كانت صديقته الوحيدة وكان صديقها الوحيد أيضا، فحيهما كان هادئا بعيد قليلا عن العمران.

امهاتهما يعرفان بعضهما البعض منذ أن كانا فى المدرسة الإبتدائية.

لعبهما كان أما مع كلاب الحى أو يلعبان فى الحديقة، يلعبان الاستغماية كانت هى تختبئ وراء شجرة ويجدها هو بسهولة ويضحكان ويلعبان نفس اللعبة من جديد مع تبادل الادوار، هو يختبىء وهى تجده ثم يضحكان ـ لعب وضحك وضحك ولعب. وأحيانا كانا يصعدان الى السطوح ويجمعان بيض الفراخ أو البط والوز فوق ويذهبان بهم لامه أو لامها فتعد الأم طبق بيض ياكلانه سويا وبسعاده بالغة الى أن جاء اليوم الذى لاحظت هى فيه ان صوته قد تغير قليلا، أصبح أقوى وأعمق وان شعيرات فليله قد نبتت على شفته العليا.إلى أن طلعا السطوح كما تعودا. وصلا الى السطوح ورأت وجهه وقد تغير وظهر على وجهه تعبيرا قبيحا ومقيتا وجديدا لم تره من قبل ـ

شعرت فجأة بالخوف منه لاتدرى لماذا ؟

أمسك هو بها وحاول أن يضمها الى صدره. صرخت هى فلطمها على وجهها بشدة وبقسوة ومزيد من أمارات الوحشية تظهر على وجهه،صرخت هى مرة أخرى، قاومته وجريت الى اسفل، قالت لامها. وهى تبكى - ما حدث بينهما هى ومعتز - صديق الطفولة والبراءة والطهاره ربتت أمها على رأسها بحنان قائلة : لا يليق أن تلعبى مع معتز بعد كده، لم يعد لائقا لك كصديق فهو ولد وآنتى بنت.

سامحيه ياساميه فهو لايقصد أن يؤذيكى فعلا.

وفى يوم من الأيام ستفهمى يا حبيبتى.

أبتعدت هى وأبتعد هو لايعرف لماذا كان فعله غير لائق، الى أن جلس مع أبيه وفهم كل شيء. ثم مالبث أن ترك هو وأهله الحى.

وتركت هذه التجربة على ساميه أثرا لا يمحى وهو الذعر والرعب اللذان جعلاها لاتطيق أن تجلس مع رجل بمفردها، حتى ولو كان فى مكان عام.

تزوجت وحكت لزوجها الكثير وكانت قصتها مع معتز احدى التجارب التى حكت عنها لزوجها.

فضحك زوجها قائلا الولد الغلبان - هذه إحدى أفعال أمنا الغولة. فضحك وهى تسأله : ومن هى أمنا الغولة ؟ فقال بجدية : أمنا

الغولة هى مجموعة من الغرائز الفطرية التى فى الانسان وفى حياته وهى قهرية الى حد مخيف تعصف بحياة الإنسان وتوازنه.

وأضاف زوجها بجدية أيضا : لا تقسى على صديق طفولتك معتز ـ فعتز فجأة رأى نفسة أمام غول لا يعرف كيف يتحكم فيه ففعل ما فعل.

ثم فجأة رأت معتز وهى فى الخمسين من عمرها وسط زوجنه وأولاده فى حفلة زفاف.

همست فى أذن زوجها حتى لا يسمعها أولادها : معتز ؟ فاكر ؟ معتز ؟ وهى تشير إليه.

وشعرت انها مدينة لمعتز بكلمة، مجرد كلمة بسيطة : هى مدينة له بهذه الكلمة : «مسامحه».أو هذه الكلمات أنا غفرت ونسيت. ذهبت إليه وقد إبتعد قليلا عن زوجته وأولاده.

ذهبت الى معتز وقد نسيت كل شىء الا انها ترى صديق طفولتها أمامها صديق الطفولة الذى تعدى الخمسين من عمره. إبتسم معتز وقد تعرف عليها من أول نظر إبتسم بخجل.

قالت هى له : ساميه، سامية يامعتز الا تذكرنى ؟

فقال هو وهو لا يزال يبتسم بخجل : لا أستطيع ان أنساك ياسامية.

ثم أضاف أرجو أن .....

سامحينى يا صديقة الطفولة البريئة فردت وهى تبتسم : كانت هذه إحدى أفعال أمنا الغولة.تركته وهو متحير ماذا تقصد هى بأمنا الغوله. ولكنه إبتيسم لها وهى تبتعد وكانت هى أيضا تبتسم.

٨ ـ ٥٥ من ٥٠

جاءت هى من الأرياف وهى لا تزال فى طور الطفولة، فتاة صغيره لم تتعدى الثامنة من عمرها عملت خادمة عند عائلة غنيه وكريمة. لم يعاملوها كخادمة بل كإبنه وأخت صغيره لاطفال العائله. أحبتها ربة الأسرة لخفة ظلها ومهارتها وحبها المخلص لهم جميعا.

كبرت وأصبحت فى السادسة عشرة من عمرها. وذات يوم طلبت منها سيدتها أن تذهب الى إبنتها لتسألها عن الوقت. فسألت منى هى وهى حائره : كيف عرفت الساعة ياست وأنت لا تحملين ساعتك ؟ فردت الإبنه وهى تبتسم بلطف : لقد عرفت عن طريق التليفون يا منى. كتمت منى غضبها وقالت بصوت يملؤه الحزن : أتضحكين عليه ياست ؟ فقالت الإبنه وهى تخفى إبتسامتها وهى تمسك بسماعة التليفون : تعالى يامنى وإسمعى بنفسك.

إقتربت منى وأمسكت بالسماعة ووضعتها على أذنها وضربت الإبنه الرقم مره أخرى وسمعت منى صوت السيدة المسجل وهى مذهوله وسألت وهى تغفر فاهها : أتستطيع أن تسأل الست دى عن الساعة فى كل واى وقت ؟ فردت الابنه وهى تبتسم لمنى بحنان : نعم فى أى وقت. فسألت منى وهى لاتزال مذهوله : ألا تنام إلا تخرج أحيانا ؟

ردت الإبنه : أنه صوت فقط صوت مسجل ـ لا وجود حقيقى للسيدة، أنه صوتها فقط المسجل جرت منى إلى غرفتها وهى تشعر أن الأمر يزداد تعقيدا كلما وجهت سؤالاً جديداً.

كانت تخجل هى أحيانا من جهلها ولذلك إتخذت قرارا لم تبح به لاحد وهو أنه عندما يأتى الأوان وتتزوج وتنجب، ستنفى نفسها وتكد تتعب حتى تعلم أولادها.

أولادها اللذين كانوا لا يزالوا فى طى الغيب.

لم تحاول ان تمحى أميتها وتعلم نفسها بالرغم من العروض الكثيرة والجدية التى عُرضت عليها. كل النفوس الطيبة فى محيطها عرضت عليها أن يساعدوا على أن تتعلم ولكنها رفضت وتفكر قائلة لنفسها : كله لأولادى كل الإهتمام لأولادى.

قالو لها ولكن لاتحزنى ولاتخجلى من أميتك فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولايكتب ولكنه كان أوسع الرجال بل البشر كلهم علما بفضل الله وإلهامه ووحيه. تعلمت منى أشياء كثيرة عن الحياة وأمورهاجاءت يوما من السوق لتقول لسيدتها أن رجلا فى السوق يريد الزواج منها. تحرت سيدتها عن الرجل فعلمت لدهشتها انه بائع سريح وأنه مشلول.

ردت الفتاة بجراءة : ايوه ياست.

وعلى رأى المثل « ضل رجل ولا ضل حيطه »

إلا ان منى رحمها ربنا ولم تتزوج الرجل المشلول ولكنها تزوجت رجلا ضريرا وما لبثت أن انجبت منه ولدا وبنتا كانا قرة عين لها،

واستمرت تعمل فى الخدمة نفس عند العائلة مع الفرق البسيط وهى أنها لم تعد تنام فى منزلهم، بل كانت تعود لزوجها وأولادها ومعها علبة سجائر لزوجها الضرير.

وأحيانا كانت ترى سائقا أو ميكانيكيا وسيما مفتول العضلات وكانت تقول لنفسها بحسرة : أه يارب لو كان أحدهم زوجى لنعمت بالحب أيضا. وكانت هى رب الأسرة، الأم والأب معا، تأتى بلقمة العيش لصغارها ولزوجها الضرير، لاتنسى مزاجه فتحضر له علبةالسجائر يوميا وهى راضية قريرة العين.

وشاءت قدرة الله ان يعود اليه بصره وبعد عمليه صعبة وخطيره. دفع كل مصاريفها سيد منى.وعندما استعاد بصره. تحول فأصبح ماردا جبارا لفظها ولفظ أولادها وتزوج إمرأه أخرى.

وتقول منى لسيدتها وهى تبكى : أول شيء قاله لى عندما عاد اليه نور عينيه قالى لى ياست : لم أكن أعلم أنك بكل الوحاشة دى باساتر يارب،

وتضيف منى : نمرود ياستى. عض اليد التى أحسنت اليه. وهل

جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

صدق الله العظيم

ثم تقول منى بكبرياء وهى تعلم أنها كاذبة : انه يحبنى أنا يا ست ولكن المرأة الاخرى تعمل له أعمالا وتذهب للسحرة وترد سيدتها بحنان : ربنا يعوض عليكى يا منى.

وتقول منى بكبرياء وهى لاتزال تكذب : ايوه ياست. انا كنز فاكرة ياسنى الرجل المشلول اللى كان عايز يجوزنى، وكان دائما يقول لى : ده انت كنز يامنى، يايخت الراجل إلى هيجوزك يا منى.انا كنز ياستى، والنبى كان المنيل عمل ايه لو كان راجل زى الرجاله، بلا داهيه . هو ياستى لا يعلم قيمتى وحيلف يلف ويرجع لى. همذا قالت لى ان نفوسه وهى مكشوف عنها الحجاب. ست عقبال املتك ياستى واصله قالت لى : حيلف يلف يابت يامنى وهيرجع لك. يلف لفته ويرجع بصحته ـ بعد ايه ؟ بعد ان يبكى بدل الدموع دم. صنته ياستى فى ضيقته ورمانى عندما اتسعت له رحمة ربنا ـ نمرود ياستى فى ضيقته ورمانى عندما اتسعت رحمة ربنا ـ- نمرود ياستى وابن كلب طب ده كفايه علبة السجائر بتاعة كل يوم. بعد ذلك حدث شىء مفاجىء، لقد تغيرت منى وأخذت شخصيتها تتغير وتأخذ منعطفا خطيرا وكنأها أصيبت بجنون العظمة واصبحت كثيرة المباهاه والتفاخر، ووصل التغير الى حد أنها أصبحت تهذى ويهيأ لها

أشياء غير حقيقية خيال مريض لا يستطيع ان يقبل الواقع ويتأقلم معه.حزن عليها الجميع واحتاروا كيف يساعدونها. على غيرالمتوقع فشل أولادها فى المدرسة فصلت المدرسة ابنها لقلة أدبه وسود سلوكه وسقطت ابنتها فى كل العلوم.فوجىء الجميع بان منى تقول : لقد نجحت البنت فى كل العلوم وأخذت ٥٥ من ٥٠ فى الحساب واضافت منى أما الولد فلقد أخرجته من هذه المدرسة الفظيعة وسألحقه بمدرسة أخرى تليق بمفهوميته وشطارته. بل لقد ترجتنى الناظرة قالت لى الناظرة : ياست منى. اتركى ابنك عندنا فالجميع فالجميع يحيونه وهو أشطر واحد عندنا. ولكننى رفضت وقلت : لا. أبوظ مستقبل ابنى علشان خاطر عيون حضرة الناظرة. ولا ايه ياستى ؟ وبمفردها تقول : الراجل راح ـ فى ستين داهية وانما العيال العيال ضاعت يادهوتى يادهوتى. وأحيانا تكون هادئه تماما صامته لاتتحدث مع أحد ولكن دموعها تسيل على خديها فى صمت.

تصمت ويحترم الجميع حزنها، حزنها الصامت الذى لا يريد ان يفصح عن نفسه.

وكانت تعلم أن الشكوى لغيرالله مذله.

ولقد تجرعت حتى الآن جميع أنواع الذل. ولم يصارحها أحد بأنهم يعلمون أنها كاذبة.وأحيانا تذهب لرب الأسرة قائلة : يابيه ارجوك اريد ان اتعلم ، ساعدنى ويرد هو : ما كان من الأول يامنى،

وعلى العموم ملحوقه. الى ان أودع ابنها ملجأ الأحداث لانه سرق شنطه حريمى من محل أحذيه وشنط. علمت أن ابنها سيودع الاصلاحية فانهارت تماما. ولكن مرضها يغلب عليها فتقول : ذهبت لوزير الحربية واعطانى كرتا لوزيرالبوليس ولقد وعدنى أنهم سيسلموننى ابنى قريبا. ولقد قاللى الوزير وانا خارجة ن عنده شرفت ونورت ياست منى لا تخافى ابنك فى عنينا.

اخذتها ربة الأسرة التى ربتها منذ ان كانت فى الثامنه من عمرها اخذتها لطبيب نفسى الذى قال للسيدة : انها طبيعية تماما الا انها تعانى من احباط شديد، كان طموحها وآمالها أكبر من إمكانياتها. هذ النوع من الطموح يحطم أكثر مما يبنى. فهو سوء تقدير من إنسان لا يفهم قدراته جيدا.

ويضيف الطبيب : طموحك يحب أن يكون على مقاسك. علاجها الوحيد ان ترجعوها الى عالم الحقيقة ولكن برفق. منى محتاجة لشىء تفخر به. لكن ألسنا كلنا كذلك ؟

وعندما تجده ـ تجد الشىء او الإنسان الذى تستطيع ان تفخر به ستعود لعالم الواقع تلقائيا، تعود الى الواقع مهما كان قاسيا.

٩ ـ العصفورة بشلن

مها تسكن مع اسرتها فى ڤيلا صغيرة فى شارع هادىء من شوارع حى المعادى.

وكانت الأشجار الكثيفة فى الشارع، شارعهم ملجأ ومأوى لمئات العصافير الصغيرة. وعندما ياتى ميعاد تجمع العصافير ونومها كانت أصوات العصافيرالرقيقة تريح الأعصاب وتدل ايضا على على ميعا دإنتهاء الحياة بسدول الليل وظلامه.

وفى الصباح تطيرالعصافير لتسعى الى نيل رزقها وتبدأ حركة الحياة من جديد.

حياة يسعى فيها الجميع حتى العصافير ثم مرة أخرى نوم اشبه بالموت ثم سعى مره أخرى. وهكذا تدور العجلة الخالدة بدون توقف كما أراد لها ربنا سبحانه وتعالى.

وذات يوم وفجأة فى الفجر، صرخت العصافير، صرخات مروعة وطلقات بندقيه لاترحم. هب أبيها من نومه وفتح النافذه فاذا به يرى رجلا فى حوالى الأربعينيات، يصوب بندقيته الى العصافير فى الأشجار يضغط بقسوة على زناد بندقيته فتتساقط العصافير بالعشرات. ينحنى الرجل ويضع العصافير التى لم تمت بعد تماما

وما زال قلبها ينبض بالحياة ـ يضع الرجل غنيمته فى جراب قماش يحمله على كتفه. صرخ أبى قائلا فى الرجل : ماذا تفعل يامتوحش.رد الرجل بصفاقه ووقاحة شديدة : إفعل ماتراه أنت بعينك
– حقى هل هناك قانون يمنع ما أفعله؟

رد أبى بغضب : أيوه قانون ربنا المكتوب وغير المكتوب.

فسأل الرجل بصفاقه : ما إسم هذا القانون من فضلك ؟ رد أبى قائلا : الرحمة، الرحمة على هذه المخلوقات الصغيرة التى لا تسطيع أن تدافع عن نفسها. بكم تبيع العصفور ة ؟ رد الرجل بنفص الصفاقة : بشلن وشلن على شلن وانت عارف باه الحسبة الأزليه.

فسأل أبى باشمئزاز : الن يجدى معك الكلام ؟ ألم تجد غيرالعصافيرالغلبانه تنتصرعليها ـ ألن يجدى معك أى إقناع؟ وواصل الرجل عمله بتحدى وأخذت العصافير تتساقط بين صراخ الأخريات.ذهب أبى الى غرفة أشقائى مؤنس ومحب وفؤاد فى ريعان الشباب والفتوة.صرخ فيهم أبى وكانوا فى سبات عميق : قوموا ـ قوموا ـ استيقظوا اذهبو وأعطوا هذا الرجل المتوحش درسا لا ينساه. والا فانتم لستم رجالا ولا من صلبى إن لم تلقنوه درسا لاينساه.اندفعرا مؤنس ومحب وفؤاد ينفذون أمر أبيهم. وأيضا حبا فى هذه المخلوقات الصغيرة الغلبانه. امسكو بالرجل واسعوه ضربا حتى أوشك على الموت.

وصرخ الرجل كفاية أرجوكم الرحمة.الرحمة. وسمعت صوت أبى وهو يصرخ فى الرجل أتريد الرحمة حقا؟ وأضاف أبى وهو يضحك بسعاده : أطلبها من العصافير

١٠ ـ معك

جلس الكاتب الكبير و أمسك القلم استعدادا للكتابة. شعر أنه أصبح خاويا لا يدرى ماذا يكتب وكيف يكتب وعن أى شىء يكتب .

كل هذه التغيرات على مستوى العالم وفى وطنه لا يدرى ماذا يقول وكأنه قد عاد كاتبا مبتدئا من جديد والقلم يرتجف بين أصابعه. لقد قال له الناشر الذى يتولى طبع وتوزيع كتبه : لقد انخفضت نسبة توزيع كتبك.

سأله وهو غاضبا وما هو السبب ياترى ؟

لم يرد الناشر وتركه للحيرة والقلق. لقد كان معروفا عنه أنه ستطيع بمهارة فائقة أن يكتب رواية كاملة فى أسبوع فقط لاغير.

أخذ يفكر فى السبب الذى أدى الى انصراف جمهوره عنه.الغلط فين؟

أيكون الغلط فيه هو أم فى الجمهور والمذاق والمزاج والذوق العام ؟ كن مخلصا مع ذاتك يا حسن ولو لمره واحدة فى حياتك : هكذا قال هو لنفسه. لقد ألف ونشر عن مايزيد عن الأربعين كتابا ولكنه لم يكتب أبدا عن الحب الرومانسى.

كان كل أبطاله أصحاب قضايا عامة وأصحاب القضايا العامة

ليس لديهم وقت للحب. معظمهم يرى أن الحب مضيعة للوقت الجهد.

سأل الأستاذ حسن أحد أصدقائه : ماهو المزاج العام فى هذه الأيام؟

رد الصديق الرومانسية تقوم هذه الأيام بهجمه شرسه على الواقعية والجميع يتوقعون أنها ستنتصر وأنها ستعود وتستعيد مراكزها وقلاعها وشموخها، وستعيد الى الأذهان جبران خليل جبران ـ ايليا ابو ماضى وميخائل نعيمه والشعراء الشبان الرومانسيون، أما فى الغــرب فى Blake, Wordworth , Coleridge. وأضاف الصديق : اعد نفسك للكفاح ولكن بقلم جديد ومختلف.

ويسأل هو : وماذا عن الرومانسية الدينية

فيرد الصديق : نعم إن العشق الإلهى سيحتل مركز الصدارة كأمل يراود الجميع.راحت عليك يا حبيبى إلا إذا....

ويسأل الأستاذ إلا إذا ؟

ويرد الأستاذ الصديق : الا اذا غيرت جلدك وركبت الموجة الجديدة.

فيرد حسن بجدية : أنا عملت غلطة العمر كله وهو أننى وضعت كل البيض الذى معه فى سلة واحدة. كان يجب أن أحتفظ لنفسى بخط الرجعه.

ويسأل الصديق ساخرا: وماذاتعرف أنت عن الحب ياحسن ؟

ويصمت حسن متغاظا . ثم يضع سماعة التليفون وينهى الحوار.

ويفكر هو : ضاعت الجدية وسنعود للعب الصبية ويعود ليسأل نفسه : أينتهى ككاتب وهو مازال فى الخمسين من عمره ؟

ايكتب هو عن الرومانسيه وهو فى مثل هذا العمر. ومن سيصدقه وهو الذى عرف بواقعيته وماديته الشديدة ؟

أم يطلق لحيته ويذهب للصلاة فى يوم الجمعة كل اسبوع ؟

لم يكن ملحدا أو شيوعيا، ولكنه لم يكن متدينا أيضا. أماالنفاق فهو قادر عليه ويتقنه وقت اللزوم.

أعد لنفسه كوبا من الشاى وجلس فى البلكونه المطله على النيل، النيل المظلوم فكل من يريد أن يتخلص من شئ ألقاهفى النيل حتى وأحيانا جثث القتلى وعليه هو أيضا أن يتخلص من أشياء كثيرة ليرضى ذوق جمهوره الذى انصرف عنه ويردد لنفسه : أتغير وفى مثل هذا السن ؟

أشعل سيجارة وأخذ يفكر فى عنوان قصة رومانسية جديدة وقصيره.

أخذ يفكر : أيكون العنوان «الحب بدون أمل » أم « الموت حبا »

وكلها عناوين مستهلكه.

ولكنه فكر لنبتعد عن الموت وأحزانه وعن اليأس وشجونه. ثم قرر أخيرا أن عنوان قصته سيكون «معك « فقط معك»

العنوان كلمة واحدة فقط « معك » إتجه الى التليفون وطلب نمرة الجريدة التى ينشر فيها قصصه القصيره،

بادره رئيس التحرير : فينك يا راجل ؟

أنت فين من زمان ؟

قال هو : اسمع سارسل لك قصة قصيرة، عنوانها « معك » عبارة عن رؤية دينية للحب. يعنى رومانسية وتدين أيه رأيك فسأله مدير التحرير وهو يضحك «معك» ؟ رؤيه دينيه للحب؟

رد حسن : نعم سأرسلها لك بأسرع ما يمكن لنشرها.

ومرت الأيام وهو لا يستطيع كتابه شىء وأيقن هو وأيقن الجميع معه انه انتهى ككاتب وحتى كمنافق. حتى النفاق لم يعد قادرا عليه وأن الزمن لم يعد زمنه.

صاح رئيس التحرير : المكان المخصص لقصة الأستاذحسن، اشغلوا المكان وضعوا بدلا منه مقالا عن المزرعة التى إشتراها جورباتشوف فى امريكا، وصورة لجوربى كما يسمونه فى امريكا ـ وهو يأكل سندوتشات الهمبورجر، وايضا وجوربا تشوف وهو يبتسم

للصحفيين اللذين يطاردونه فى كل مكان وهو يقول لهم : ليس هناك أبدا افضل من الهمبورجر الأمريكانى. لقد حاولنا أن نقلده فى روسيا ولكننا فشلنا. نعم هذه هى الحقيقة، فشلنا وكان فشلنا ذريعا.

١١ ـ السعادة اسمها عبده

كانت ابنه لعائلة صعيدية فقيرة، كانت اسرتها تجد لقمة العيش بالكاد. لم يسمح لها أبدا فى يوم من الأيام بان تدلى برأيها فى شئ أو على الأقل أن يسمعها أحد كان المسموح به فقط هو أن تتكلم الكلام اليومى العادى مع أمها وشقيقاتها. ومالبثت أن رحلن شقيقاتها الى بيوت أزواجهن فلم تجد حتي الفرصه للكلام اليومى العادى. كلام ابيها واخوانهاالذكور أوامر يجب أن تطاع بدون أى مناقشات أو حتى المطالبة بإيضاح أو بتفاصيل

كانت الكلمة التى تخرج دائمامن شفتيها هى كلمة : حاضر ـ حاضر ـ حاضر.

حاضر ياأبويا ـ حاضر ياأخويا أمرك يامه. اخوانها الذكور كانوا يعملون أجراء فى أراضى الغير وعلى ذلك أمامها كانوا أسودا ونمورا وأسيادا نو مخالب وأنياب.

الى أن جاء اليوم ورأها عين من أعيان الصعيد. كان كهل لكنه غنيا تتمنى أى فتاه أن يتخذها زوجة. وكان ردها على عرض الزواج منه : حاضر كماتعودت دائما.

وحرصا على مشاعر أولاده العاديين، تزوجها سرا ولأول مرة

فى حياتها القصيرة ـ فلم تكن تتعدى الخامسة عشر من عمرها، لأول مره تر ى أبيها واخوانها يقفون محنيوا الرووس أمام هذا الرجل. زوجها فتعجبت ولم تفهم والأكثر من ذلك انها لم تشعر بأى شماته فى ذلهم وأنكسارهم.لم تكن تفهم أى شئ مما يجرى أمامها. وعند رحيلها قال لها أبيها كونى زوجة مطيعة ولاتقولى لزوجك الا حاضر فاهمه يابت؟ أسكنها زوجها بعيداعن الصعيد اخذها الى الأسكندرية واسكنها فى شقه متواضعة ولكنها رأتها قصرا منيفا بالمقارنة مع دوارهم فى الصعيد.

اسكن معها إمرأه مسنه يثق فيها ووضع غفيرين على باب الشقة. والعجيبة أنه سمح لها بالخروج فقط فى مكان بعيداخاليا من الناس ـ هناك على شاطىء البحر، لتروح بالتمشه هناك عن نفسها من حين لآخر.

قال لها : لا أريد أولادافعندى منهم ما يكفينى وهم هم بالنهار وهم بالليل ـ وقتك كله ـ نهارك وليلك ملكى فتذكرى هذا ـ ويعيد عليها مؤكدا : ليلك ونهارك ملكى.

وكاناأحيانافى ساعة رضى يقول لها : مبسوطة من البحر يابت؟ كان قليل الكلام لايتحدث إلا بالكاد ـ واذا تحدث فهو ليلعن أحد أو يتوعد بالثار من أحد.

وكانت كلمتها المعتاده هى : حاضر

لم تكن تعرف أن حياتها حتى ذلك الوقت قد قضتها فى سجون وكل سجن وله سجانة وله قضبانه. تعددتالسجون والسجون والسجن واحدا.

ولاول مرة تجد عائله جديدة على الشاطىء - تراهم من حين لآخر. فعرفت من مخالطتها بهم أن هناك شىء يطلقون عليه كلمة جديدة لم يكن موجودفى قاموسها وهى كلمة « السعادة »

وبدأت السيدة ربة الأسرة تعلمها كل شىء عن الحياه والناس فعلمت ماهى محرومه منه. لم يجد جديد على تصرفاتها مع زوجها لانها ـ بالحاسة السادسة ـ علمت أن زوجها الكهل سيرفض أى تغيير فى سلوكها معه. علمتها صديقتها الجديدة ـ وهى حزينة عليها تكتب وتقرأ وكانت المرأة المسنة التى تلازمها رحيمه بها فلم تفشى بسرها لأحد.

ثم فجأة مات زوجها الكهل فى بلدها فى الصعيد وأخبرها الغفيران فلم تشعر ايضا بحزن ـ كل ماشعرت به هو أنها يجب أن تهرب ؟

لا تدرى أين تهذهب؟، تركت بيتها بسرعة مذهلة وقالت للمرأه رفيقتها المسنه : أدع لى يا خالة.

رحلت وهى لا تعرف ماسوف تفعله بحياتها. أخذت كل ماكان زوجها قد تركه فى الدولاب من نقود. أسرعت الى الشارع وشعرت

بالخوف الشديد. أشارت الى أول تاكسى رأته وهى لاتزال تشعر بالخوف.

لم يكن خوف مجرد خوف عادى وأنما رهبة وفزع وحيرة. لم تفلت من شفتيها وهى تتذكر زوجها كلمة « الله يرحمه » فلقد كانت تتذكر الرجل وتتذكر جبروته والوجوم الذى كان دائما على وجهه وتتذكره فى ساعات الرضى وهو يسألها مبسوطة يابت من البحر ؟

تتذكره فيرتعد جسدها إشمئزاز وكراهية.

وتفكر سيان عندى ان يرحمه الله أو لا يرحمه. يكفى اننى لا أدعى عليه. ليس له عندى رحمة غير ذلك، اننى لا أدعى عليه وهذا يكفى.

جلست فى التاكسى ونظرت الى السائق قائله : بسرعة. بسرعة أرجوك انطلق سألها السائق فيه إيه ياست؟ قالت لاشىء فقط أسرع.

قال أسرع الى أين ؟

قالت بلهفه والذعر ما زال يلازمها : بعيدا عن هنا أرجوك نظر الرجل اليها قائلا. انتى عامله عامله ولا إيه ؟

وتقول هى أسرع أرجوك.

نظر اليها ونظرت اليه فوجدته رجلا فى الخمسين من عمره ـ أسمر ـ بدينا بعض الشىء.

أخذها الرجل بعيدا عن السجن الذى كانت تعيش فيه. نظرت الى البحر وتذكرت زوجها وهو يسألها بغلظة : مبسوطة من البحر يابت ؟ فترتعد أطرافها.

أخذت هى تتحدث من تلقاءنفسها، تحكى له قصتها بكل تفاصيلها وأحزانها.

فقاطعها هو بقوله : أرجوك على صوتك شوية.

لم يفهم ولم يسمع نصف ماقالته، كل علمه أنها فى سجن فرض عليها بدون إرادتها ومن يرضى بالسجن وكيف لإنسان أن يرضى بان تُسلب منه حريته. وفهم ايضا أنها بلا مأوى ولاتعلم اين تذهب.

علم أيضا أنها صادقة ولاتكذب من نبرات صوتها وبكائها المتواصل.

سألها بحنان أسرها هل أكلت شىء اليوم : هل أكلت شيئا اليوم ؟

هزت رأسها قائله : لا

قال : إذن سأخذك الى مكان نأكل فيه أنا وانت. بس ارجوك ياست كل ما أطلبه منك هو أن تعلى صوتك قليلا لو سمحتى.

أخذها الى محل فول وطعميه وأكلا.

قال لها : انا اسمى عبده فما هو اسمك ؟

قالت بحياء : عفاف.

ثم قالت بصوت عالى حتى يسمعها : اسمى عفاف.ثم قال لها هو : اسمعى ياعفاف انا أنا راجل كسيب ولا زوجة لى ولا أولاد. فما رأيك آن تتزوجينى ـ زواجنا يابنت الحلال هو حل لمشكلتك وحل لمشكلتى أنا فما رأيك ؟ وأعلمى ياعفاف اننى ساصونك جوا عنيه.

ولن يعرف أهلك مكانك. نظرت عفاف الى الطريق الممتد الواسع أمامها وفكرت فى مأساتها بل وتذكرت الكلمتين القبيحتين حاضر وأمرك فأجابت بسرعة موافقة ـ موافقة.

مرت الأيا م ونسمع عبده يقول لزوجتة : اية رأيك ؟ وأمرك ياعفاف وتطلبى ايه يا عفاف ؟ زى ما انتى عايزة يا عفاف ـ حاضر ـ حاضر ـ حاضرعرف عنهابين الجيران انها امرأه رغاية لاتمل من الحديث والكلام ـ لاتعطى لاحد فرصة ليتكلم أو يشارك فى الحديث.

تريد أن تسمع صوتهاهى فقط.

ربما لتعوض صمت الماضى وقسوته وآلامه.

أما عبده ـ فربما لثقل سمعه كان مستمعا جيدا للغايه تتكلم هى ويسمع هو أويدعى السمع حتى لايغضبها. وجدت عفاف أخيرا من يسمعهابل كل وبلا ملل. ولقد كانت هذه السعادة يأكملها. عُقد الماضى والأمه وقضبان سجون آنصهرت وذابت واتنهت. وهى الآن تعيش سعيدة مع زوجها الصامت عبده.

١٢ ـ وتمضى السنين

جلس حامد وهو معيد بالجامعة فى المكتبه يقرأ كتابا عن الشعر الإنجليزى فى القرن السادس عشر. عصر شكسبير وعصر النهضة الإنجليزية. الكتاب مفتوح أمام حامد ولكه يطالع بعينيه عناوين الكتب التى حوله فى المكتبة، فيختار مايجب أن يقرأه وما يجب أن يتركه. فكر قائلا لنفسه : ليس هناك كتاب سىء الى الحد الذى يجب ان يتركه .

لم ينقذه من حيرته الا دخول سامية المكتبة. فنظر اليها مبتسما فاجابته هى بابتسامه صامته ـ ساميه ما زالت طالبة في السنه الرابعة. جمعهما فى البدايه حب الأدب والثقافة.

ولكن ساميه عيبها فى رأيه ـ هو انها لا تقرأ إلا الأدب الإنجليزى القديم والمعاصر.

وكان يصرخ فيها قائلا أين تراث بلدك فى وجدانك ؟ هل سأتزوج ساميه فرج أم جورج اليوت أو اميلى بونتى أوحتى فرجينيا وولف.

كان دائما يتوغل أبعد منها فهو يقرأ الادب بكل جنسياته وكتابة حتى الهندى منه : طاغورومحمد أقبال، وكان يشعر ان فى هذا اثراء

لوجدانه وتفكيره.

وكان دائما يقو ل لها : اذا اردت معرفة تاريخ بلد من البلاد اقرأى ادبه ـ إنتاجه على مرالعصور.

وكثيراما كانت تقول له وهما يضحكان قرائتك المتنوعة ياحامد قد جعلتك فى معركه دائما مع نفسك، معركة حاره تجرى بداخلك بين الشرق والغرب، وبين بلدك والعالم معركة أحيانا تعيشها بين الإنجليزى والهندى، بين التركى والقبرصى، والأغرب أنك أحيانا ـ تتبنى قضايا لا تهمك فأجاب بغضب حقيقى هذه المرة : الست انا بشر أو إنسانا وكانسان ضميرى وحسى الدينى يجعلنى أهتم بكل البشر حتى ولوكان الصرا ع لايمسنى بطريقة مباشرة. أولا كل إنسان مسئول عن البشرية كلها. نساند الضعيف وننتقم ممن ظلمه، حتى ولو فى خيالى.

فقالت له ساميه : كل هذا ياحامد يجعلك احيانا فى حالةإكتئاب شديد وأنالاأحب أن أراك وأنت تعبان.

ثم أضافت وهى تضحك : بتصعب عليه ياغلبان، فقا ل لها ضاحكا انت هرابه كبيرة.

ثم قال منفعلا : انت تكرهين المسئولية بكل أنواعهاخاصة المسئولية المعنويه مسئولية بكل أنواعها خاصة المسئولية المعنوية مسئولية الإعتقاد فى رأى من الأراء.

قالت بجدية وبصراحة : انا لا أواجه أنا أهرب، واكتفى بقراءة رأى واحد فقط ـ أعتقد أنه صواب وقد لايكون كذلك ويرد عليها وهومعجب بصدقها : لا يوجد يا سامية رأى واحد على صواب دائما وأنامن أنصار الثقافة الموسوعية حتى ولو تناحرت عناصر هذه الثقافة في داخلي. لا يصح شئ أساسه رأي واحد إلا كلام ربنا سبحانه وتعالي وقد أحسن تفسيره.

وتسألة : وكيف تجد سلامك مع نفسك ياحامد؟

مزيد ومزيد من التناحر الداخلى والى متى تستطيع ان تستمر فى تحمل هذه المعركة الازلية فى عقلك وقلبك وتفكيرك وفى احساسك.

ورد هو ضاحكا وهو ينظر اليها بحب : بالنسبة لقلبى فليس فيه غير انسان واحد فى قلبى، انتى.

ليس هناك صراع فى قلبى ـ تأكدى من هذا.

ثم يضيف : يبدأ الانسان السوى فى القلق على نفسه، اذا انتهت هذه المعركة فى عقله وفى داخله. فمعنى ذلك انه وصل الى الهدوء المبنى على عدم الاهتمام واللامبالاه. وهذا جرم خطير فى حق الاخرين ايضا.

فقالت هى بنفاذ صبر : لم يعد هناك وقت لكل هذه الدوشه التى ليس من ورائها اى طائل، وكفانا دوشه وكلاما الموضوع لايستحق كل

هذا العناء. ولقد تكلمنا كثيرا، كلنا تكلمنا كثيرا، صغيرنا وكبيرنا، الجاهل منا والعالم، وقد أن الأوان لان نتحدث بالاشارة الصامته.

بالاشارة فقط ونحن صامتون، الصمت اصبح افضل واعمق واجدى.

ضحك هو ولكن ضحكته كانت باهته يعتريها كثير من الأسى.

وتسأله هى برقة : أما زلت تريد الزواج منى ياحامد، حتى بعد أن علمت أن حياتنا ستخلو من المناقشات، فانت تحب المناقشات وانا لا احبها.

ولكن سيكون هناك مناقشات اخرى من نوع آخر. مناقشات جافة ليس فيها حياة، مناقشات تدور حول ميزانية منزلنا ومصاريفه.

ضحك هو مرة اخرى قائلاً : سأتزوجك انت ـ وليس هناك احد سواك. هكذا يقول لى قلبى. ولقد قررت ان اطيعه. ساقبلك كما انت ولن احاول ان اغيرك ارادة التغيير يجب ان تنبع من داخلك انت.

واضاف هو ويخلط الهزل بالجد. ولكننى سأبحث عن أمراه اخرى تحدثنى وأحدثها تجادلنى واجادلها ـ نتبادل الاراء بروح طيبة ثم أضاف وهو يعلم انه يكذب ولكنه يريد ان يغيظها : معك ياساميه ـ برغم حبى لك ـ لن يكون هناك اى فرصة للتعبير عن النفس.

واخذ هو يضحك وهى تقول محتجه : ولكن ياحامد أنت تعبر

عن نفسك فى محاضراتك ومع طلابك ولكننى بطبعى لا أحب الرغى الكثير.

وقال هو : ولكننى فى محاضراتى لا اعبر عن نفسى وانما أعبر عن اراء الاخريين وارددها وانا ليس الا ببغاء.

صحيح ببغاء شاطر ولكنه لايزيد عن كونه بغباء. وانا لا أريد ان اكون مجرد ببغاء.

وضعت ساميه يدها على يده بحنان وقد أعترى صوتها بعض الشجن وبعض الحنان وقالت : ساسمح لك بعد زواجنا بنصف ساعة كل يوم فقط تعبر فيها عن نفسك كما تريد مع الاختصار وعدم التكرار.

ضحك حامد وقال وهو مغتاظ : انتى الخسرانه على العموم. فنظرت اليه بحب قائلة : اننى أغيظك يا حبيبى، حياتى كلها بساعاتها ودقائقها وثوانيها ـ لك ـ كلها لك ـ تعبر فيها عن نفسك كما تريد- بل تفعل بها كما تشاء.

وتركا المكتبه ـ مكانهما المفضل ـ وذهبام الى الكافيتريا.

واخذ حامد يتطلع الى الجالسين من الشباب وهم ينظرون اليه مبتسمين : استاذهم الصغير حامد، الذى امتعهم ومازال يمتعهم بما يقوله عن الادب والادباء. وعلمهم ان الثقافة هو رؤية للحياة، هى

موقف تجاه الكون كله بما فيه من قضايا وصراعات.

ويتكون موقفك ورؤيتك من مجموعة تجاربك وقراءاتك ـ قراءاتك التى هى تجارب الاخرين.

وكثيرا ما سأل حامد نفسه بحيرة ترى ما الفرق بين أستاذ محاضر واستاذ محاضر آخر : كلاهما يختزنان نفس المعلومات ونفس العلم ولكن احدهما ينبغ ويذاع صيته والثانى يكمن فى الظل وكأنه يخشى ان يراه احد، ليس له أتباع أو مريدين.

والاستاذ الجامعى له حضور وهيبه فإن فقدهما، فقد كل شئ وخير له أن يترك الجامعة بدون أبطاء أو تردد ويبحث له عن طريق آخر غير سلك التدريس بالجامعة.

همست سامية : لنخرج من هنا فالكافتيريا مكتظه بالطلبه والطالبات وتعجبت قائله : كل هؤلاء الطلاب خارج مدرجات الجامعة؟

ذهبا الى الجديقة وجلسا تبدو عليهما السعادة.

وسألته : ماذا كنت تقرأ فى المكتبة اليوم؟

فقال : كنت أقرأ عن سمه ثابته فى الادباء والشعراء القدامى الاوروبيون ولقد بدأن هذه السمة فى العصر الرومانى واللاتينى وكانت تسمى "Carp Diem" وهى الفلسفة القديمه التى تقول للانسان ان حياته قصيره فى قصر عمر الوردة وان على الانسان ان ينتهز اى

فرصة للتمتع والسعادة.

فقالت هى بأسى بدى له غريبا : نعم هذا ماكنوا ولازال بعضهم يقول « ان الحياة كالوردة الجميلة ولكنها تخبو وتنتهى بسرعة البرق وان على الانسان ان يغتنم اى فرصة للتمتع «كل وأشرب وتمتع فغدا تموت»

واضافت : لقد روادتنى هذه الفكرة وهذه النظرة للحياة. ولولا اننى مؤمنه واتقى الله لفعلت الكثير مما قد أندم عليه بعد ذلك.

ولكن كانت كلما روادتنى هذه الفكرة كنت اقاومها واتحداها بايمانى بالله وبعلمى ان الحياة هى دار امتحان وابتلاء يتمتع الناجحون فيه بالسعادة الازليه مابعد الموت وفى دار الحق.

وانه قد يحظى الانسان بلحظات من السعادة فى الدنيا ولكن السعادة الحقيقية والخالدة تنتظرنا هناك.

فقال بدهشة وسعادة : لقد علمت الان ولاول مرة انك لست تابعة لرأى واحد فقط وها انت تتحدين المفهوم الغربى للحياة بمفهوم الشرق لها.

نظرت هى آليه بحب وهى تضحك قائله : لافائدة. لا أعتقد ان زواجنا سيخلو تماما من المناقشة والجدل.

ولن تكفى الاشارة للتفاهم الصامت.

بل لابد من استعمال : الكلمات ـ الكلمات.

وضحكا سويا بسعادة لاتخلو من الاسى والشجن وهما يتعجبان من ماساة الانسان المعاصر التى لا تريد ان تنتهى.

نحن لانريد لها ان تنتهى، فما زال الانسان عاجزا عن التفاهم بكلمات قليلة ولكنها سديدة.

ولاتعرف البشرية ـ بعد كيفية العبور الى الابدية، بعد رحلة قصيره جدا يسمونها الحياة. والحياة قصيرة جدا مهما طالت بمقياسنا للزمن.

I don't likek thee Doctor Fell.

The reason why I cannot tell

But all I know and know full well, that don't

love thee Doctor Fell.

١٣ ـ يوم فى حياة رجل قبيح

بطلنا رجل فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره، ليس رجلا قبيحا بالمعنى المادى للكلمة ولكن قلبه فى سواد الليل الحالك. لم يتسنى له الزواج فكل أمرأة أو فتاه تراه تشيح بوجهها عنه وترفضه وتلفظه فالشر الذى كان يكمن داخله ينعكس على وجهه، فترى على وجهه أمارات القسموة الشديدة.

تثاقل وهو يقاوم النوم، يغادر سريره ويذهب الى المطبخ ليعد لنفسه أفطارا فاخرا، ويبدأ يومه بجشعه واشباع جوعه الذى لاينتهى يحيا بمفرده بالرغم من ان آمه مازالت على قيد الحياة، وتعيش هى فى منزل اخر وهى تفضل ان تعيش بمفردها لانها لا تطيق قسوته وعشرته السوداء كما كانت تقول لكل من يراها.

وهو لايستطيع ان ينسى اليوم الذى وضعت فيه امه كل ملابسه فى حقيبة وتركتها عند الجيران وغيرت مفتاح باب الشقة.

ذلك هو ما حدث عندما كان طالبا فى المرحلة الثانوية وكان فاشلا ذلك هو ماحدث عندما كان طالبا فى المرحلة الثانوية وكان فاشلا فى دراسته، لا يتقن الا فن تعذيب أمه والقسوة عليه، وحصل هو على البكالوريوس بشق الأنفس.

فيما بعد أكتشف هو ان امه أمراه غنيه تملك الاراضى والعقارات ولكن تنقصها السيولة النقدية.

وبدأ هو فى التردد عليها ويعاملها بحنان وحب. واستجابت له المرأه سريعا فهو ـ على كل حال ـ إبنها.

وبعد كل هذه السنين الماضية ـ سنوات القسوة ـ من جانبه.

باعت المرأه جزءاً من أرضها، ثم أخذ يحتال عليها حتى أعطته فلوس الارض فوضعها باسمه فى البنك.

وكانت تسمعه يقول لها فى البداية بحب : الفلوس فلوسك يا ماما وأطلبى ما تريدين، أناتحت أمرك، فضحكت من قلبها بسعادة وفى وهى تفكر : لقد : إنتهت سنوات القسوة والجبروت وسأختم سنوات حياتى بحب إبنى لى عاملها بالحسنى لمدة أسبوع ثم عاد مرة أخرى لطبيعته القاسية وهى تقول لنفسها بسخرية : وعادت ريمة لعادتها القديمة.

عاد الى قسوته وجشعه وبخله والرغبة فى اذلال الناس. مرضت

أمه وطلبت منه أن يحضر لها طبيباً.

وطلبته بالتليفون ووعدها بالحضور وتأخر العادة، فكلمت جارتها وخضرت الجاره على وجه السرعة وقالت لها : ألم تحضرى طبيبا حتى الأن. وأين ابنك ؟

فقالت الأم بحزن : لقد إتصلت به ولكنه لم يحضربعد وليس معى نقود لادفعها للدكتور.

صرخت الجارة مرة أخرى وهى فى دهشة تامة : الم تبيعى ارضك يازكيه ؟

فاجابت الأم وهى تبكى : أيوه بعتها وأعطت ابنى كل ما أملك من مال.

دخل هو بعد ساعات من الإنتظار المؤلم.

بادرها قائلا وهو عابس متجهم الوجه : ايه الدلع ده ؟ انتى بخير وليس هناك حاجة للطبيب.

صاحت الجاره فى وجهه الكريه : اذا لم تحضر الطبيب الأن فسأحضره أنا وعلى الفور وسأدفع له أيضا أتعابه.

فقال بجعرفة وقلة أدب : أنا لاأسمح لك أن تتدخلى بينى وبين أمى.

فقالت الجارة وهى تتمنى لو استطاعت أن تضربه حتى الموت : انت لست ابنها وهى ليست أمك يا مجرم.

ثم خرجت الجارة.

وصاح فى وجه أمه كيف إستطاعت هذه المرأه أن تعرف مابينى وبينك ؟ كذبت المرأه وهى تخشى غضبه وثورته والله يابنى لم أقل لها أى شىء.

فقال غاضبا : انت كذابه ـ ماذا تريدين منى ؟ فقالت بصوت خافت : أريد دكتور يرانى.

فقال : سآخذك الآن إلى الطبيب.

فقالت وهى تحبس دموعها : لن أستطيع أمشى بابنى.

دق جرس الباب ودخلت الجارة ويتبعها رجل ـ كان الطبيب.

فحصها الطبيب وقال بجدية : يجب ان تزيلى المرارة بعملية وفى أسرع وقت ممكن.

بعد خروج الطبيب قال الابن بخبث : استطيع ان اطلب قرضا بضمان وظيفتى.

فقالت وقد أصابها مس من الجنون : لماذا ؟ أين ثمن الأرض ؟ فرد ببرود : أنا آسف لقد وضعت كل الفلوس فى عقارات ولن أستطيع بيع أى شىء منها، لانه سيكون بيعها بالخساره ـ بثمن بخس وأنت لا تريدين لنا الخسارة. أمعقول ان تريد الأم أى أم لابنها الخسارة.

قالت والدموع تسيل على وجهها : معلش يابنى، العمليه تنتظر حتى أبيع الأرض الباقية ـ وأنا وحظى بأه والأعمار بيد الله.

سمعها ـ سمع امه وهى تذكر أرضها فعاد إلى تودده ونفاقه وقال لها عبارته المعتاده : أنا تحت أمرك ياماما.

باعت المرأه البقية من أرضها. وكان هو حاضرا، يتربص كالثعلب ينتظر لحظة تسليم النقود، لينقض عليها.

وهذه المره أيضا أعطته كل ما تملك ثمن بعض كلمات حب وحنان وجههم اليها فى الوقت المناسب .

لم تسطيع ان تستوعب الدرس والعظة والعبرة. والقدر صياد «وساعة القدر يعمى البصر»

وبعد أسبوع من البيع طلبنه فى التليفرن وقالت له وعلى وجهها مشروع إبتسامه يامجيد أنا محتاجة لفلوس العملية والعلاج.

رد عليها بصفاقة لا يريد أن يرحم : انتى زى الحصان وكل ما هو مطلوب لشفائك، إنك تبطلى أكل وإنت على طول تخفى.

وأضاف ينافقها : ثم اننى أخاف عليك من العملية ولاأستطيع ان أخاطر بك فافقدك.

حكم على أمه بالإعدام وكان يوما قبيحا فى حياته ـ يوم قبيح لايقل قبحه عن قبح أيامه الأخرى.

١٤ ـ الحب مرة أخرى

كان الجميع يعلمون أنها تزوجته من أجل ماله ومنصبه.

رجل عُرف عنه أنه غير قادر على اسعاد أى إمرأه ولم يرحموه ولاكت سيرته الألسن.

كان غير قادر على أسعاد أى امرأة ولكنه نبيل وأخلاقه الحسنه ومعاملته الطيبة للكل كان شيئا يشهد له الجميع. ولكنه لا ييأس واصر على ان يظهر امام الناس رجل كامل الرجولة، وان فشله مع النساء هى أشاعه مغرضه تريد النيل منه ومن كرامته كرجل.

تزوج للمرة الثانية من أمرأة لعوب وهو يعلم تمام العلم أنها ستخونه وأنها وأنها لن تكتفى بالصحبه الطيبه والاخلاص ولكنه تمسك بها وهو يعتقد إن زواجه الثانى سيؤكد للناس أنه رجل وأنه محط أنظار كل النساء.

مسبقا أتفق معها على الكتمان والحفاظ على السرية المطلقة فيما يختص بخياناتها له.

ولقد قالت له بصراحة وجرأه : أعلم اننى سأخونك ـ من الآن أقل لك أننى سأخونك.

وفى مقابل هذه الصفقة المشينه سيعطيها هو المال والمركز

الاجتماعى وستعطيه هى أحترام الناس له كرجل.

وكانت هى بارعه الجمال، ذات أنوثه طاغية وبالرغم من كل هذا فلم تحركه هذه الأشياء النادرة.

بعد زواجها بشهور قليله، بدأت هى فى البحث عن رجل يعوضها نقص وعجز زوجها. وتذكرة دائما بالعقد والأتفاق السرى بينهما فيصمت هو مكتفيا بما تعطيه هى. كل ماكان يريده وهو الاحتفاظ بمكانته كرجل فى الهيئة الأجتماعية وشكر لها ذلك.

ورضى هو وقنع بالأمر الواقع وهو يعلم أنه ظالم وهى أيضا ظالمه. ولكنه عندما كان يخلو بنفسه فى غرفته وحيدا - كانت دموعه تتساقط من عينيه - ويتذكر عجزه فيشتد بكائه، ولكن حريصا الايسمعه او يراه احد.

وهكذا كل ماكان بينهما هو تبادل المنفعة، أعطته مايريد واعطاها هى ما تريده.

وكانت لعبه - لعنها الله - من أول يوم جمع فيه الشيطان هذا الرجل بهذه المرأة والناس، الناس تعلم كل شئ وأبتسم البعض بسخرية ويقسوه البعض الآخر اما يشفق على المرأة فقط أو عليه هو فقط. والقله تشفق على الأثنين معاً أو كما قال السيد المسيح عليه السلام «أرحموا أهل البلاء» ولكنهما بالتأكيد لم يكنا يضحكان الا علـ . أنفسهما وأستمرت الحدوته.

عرفت هى رجالا كثيرين وكانت تغيرهن كما تغير احذيتها أو أكثر وزوجها العاجز صابر وقانع وراضى. وعلى نقيض كل الناس، يستمر أويهنأ بالحياة فى الوحل. لم يكن يشفع له إلا دموعه فى غرفته وفى وسط الليل.

كانت خيانتها له تتم فى سرية مطلقة ولكنه يعلم ويعرف كل شئ حتى أسمائهم كان يعرفها.

لم تشعر هى ولم يشعر هو ـ فى يوم من الايام انها تجرحه أو تؤذيه، فلتيس بينهما إلا العشرة والغريب أنهما أصبحا اصدقاء. تقلق عليه ويقلق عليها.

وأحيانا كانت تحكى له عن تجاربها مع الرجال الآخرين ويغدق عليها هو من ماله الكثير أكثر حتى مما تريده هى.

وكان اللذين يتكلمون عنهما نوعان :

النوع الأول كان يعلم كل شئ وكنت تسمعه وهو يقول مذهولا : الراجل ده جبلته أيه ؟

والنوع الثانى الذى لايعلم يعلق قائلاً : أرجل واحد ويملك كل هذا الجمال الطاغى ـ يابخته.

وكان هو يسعد كثيرا بكلام الناس من النوع الثانى.

وكان أحيانا يقهقه كالمجنون قائلا لنفسه : أكل ما أنا فيه

وبيحسدونى؟.

وأستمر عبثها حتى رأته : سليمان سليمان رجل فى الأربعين من عمره ـ وسيم ـ عريض المنكبين ـ ترى تعبيرا صارما على وجهه يشهد بأنه ليس على وفاق مع الدنيا. تهافت النساء عليه جعله يكره قيود الزواج. ولم يحدث أنه أعطى ثقته الكامله لأمرآة ولا حتى لرجل.

نظر إليها ونظرت إليه وأيضا على الفور علما أنهما تقابلا على قدر، كان قدرهما أشبه بأقدار أهل الحجيم.

وأيضا أنه لا جدوى من المحاولة فى ان يتفاديا هذا القدر المحتوم.

ه ـ أبدأ لم تبحث عن الحب فى يوم من الأيام وأنما كانت دائما تبحث عن المتعة الخالصة بدون حب، بدون الحب وطغيانه ولكنها رأت سليمان فأيقنت انه الرجل الذى سيعطيها الحب والمتعة أيضا.

كان يعلم أنها متزوجة ولكن منذ متى أوقفه هذا أو منعه من ضم أمرآه ـ أى أمرآة جديده الى حريمه. وهى ـ هى لم تكن فى نظره مجرد أمرآة، بل سحر وجاذبية أستفزا رجولته فأصر على ترويضها. وأمتلاكها.

بدأت علاقتهما على الفور وعرفته على زوجها واصبحا أصدقاء ـ شعر زوجها بالذعر، فلم يسبق أن دخل رجل من رجالها البيت فلقد

كان بينهما عقد شرف أن رجالها لا يدخلون البيت وأن خياناتها تقع خارج البيت.

كان فى الماضى - لا يخشى ان يرى اى رجل من رجالها أن ينتزعها منه ولكن هذا الرجل سليمان ومثل هذه العلاقة أصبحا يمثلان معا خطراً. وأيقن زوجها أن زوجته ولاول مرة فى حياتها تحب الحب الحقيقى - لاول مرة فى حياتها. حب حقيقى سيكتسح كل شئ أمامه وكل أحد أمامه.

صمت الرجل - زوجها - بل وذاد صمته عن المعتاد - حتى لا تهجره هى، فيفسد كل ما دبره هو الحفاظ على مكانته المزعومه كرجل فى المجتمع والتى ليس لها اى وجود إلا فى خياله وفى خيال بعض السذج من الناس.

استمرت العلاقة الثلاثية الملعونه برضى جميعم الأطراف لم يطلب احد منهم حقه الكامل. كان على كل منهم ان يقدم تنازلات حتى لايؤذى الاخر حتى فى مشاعره. والغريب ان كل منهم كان يعتقد أنه ظلم الآخر حتى الزوج شعر أنه ظلمهما وأنه كان عليه ان يرفض هذه العلاقة الثلاثية حتى يتسنى لزوجته بعد طلاقها منه، الارتباط بسليمان أرتباطا سويا. وأنه ظلمها عندما تزوجها وهو يعلم كل شئ عن نفسه وعجزه وكان يستطيع أن يتزوج أى امرأة اخرى امرأة قادرة على التضحية. ولكن هذه المتوحشة التى أرتبط بها ليقول

للناس: لم أتزوج أمرآة عادية بل تزوجت أمرآة طاغية الجمال والانوثة وفى حاجة لرجل قوى ليسوسها وأنا هذا الرجل القوى. ويضحك الجميع بسخريه.

وقلت غيرة سليمان من زوجها بمرور الايام وكان الزوج عندما يرى غيرة سليمان يقول لنفسه بسخرية : آه لو تعلم. وبدأ الزوج يسمعها كل يوم وهى تبكى فى غرفتها.

لم يجرؤ الزوج على أن يسألها ما بها خوفا من أن تقول له طلقنى.

وجاء اليوم الذى صارح فيه سليمان نفسه وأيقن انه أحب هذه المرأة حبا شديدا وعميقا وأنها ليست مثل كل النساء اللائى عرفهن فى حياته الماضية اللاهيه، وفى اللحظة التى عرف ووصل فيها الى الحقيقة، ذهب اليها فى منزلها فلم يجدها وسأل زوجها فرد الزوج : لقد ذهبت الى الدكتور.

فسأله سليمان بلهفة : ماذا بها ؟

فأبتسم زوجها يردد قائلا : خير - خير لاشئ.

شعر سليمان أن المرآة التى يحبها كل هذا الحب - تخونه على الأقل بقلبها ووجدانها. ولكن الخيانة بالاحساس تؤدى الى الخيانة الكاملة. أى الخيانة بالأحساس وبالجسد فى معظم الحالات انها

تخونه كما خانت زوجها وكما خانت رجالا كثيرين قبله.

أخذ يذهب يوميا لمنزلها فلايجدها بحث عنها فى كل مكان فلم يعثر عليها وفكر هو بزهو من هو هذا الرجل الذى يستطيع ان ينتزع أمرآة من سليمان ـ سليمان قاهر النساء. أيقن أن خصمه لايستهان به وأنها تركته بعد كل هذا الحب، لأن خصمه لايقاوم وكاد سليمان ان يجن من الغيرة عليها.

سيقتلها : هكذا قرر بعد أن أيقن من خياناتها.

وزوجها يسمعها فى وسط الليل وهى تبكى بحرقة.

أنتظرها سليمان أمام بيتها وجاءت وقد تغير التعبير الذى تعود أن يراه على وجهها وكأنها أمرأة آخرى لا يعرفها وكأنها أمرأة أخرى غير التى عرفها وأحبها.

وصاح هو فى وجهها وكل جسده يهتز من الغضب : ياخائنه سأقتلك.

وردت هى عليه بهدوء : لقد كنت خائنة قبل أن أعرفك ـ لقد كنت دائما خائنة ولقد أحببتنى أنت وأنت تعلم أننى خائنة. وأنت لست اول من اخونه ولكنك الاخير.

أمسك بيدها بقوة ولكنها أنتزعت يدها بقوة ايضا وعنف أذهله وأدهشه. وصاحت هى فى وجهه : لا تلمسنى لا تلمسنى. ثم قالت فى

هدوء : سأقابلك فى الكافيتريا التى تعودنا أن نتقابل فيها. قال بعنف يهددها : سأقتلك ان لم تحضرى فاهمه.

جاء الغد بعد طول انتظار أنه يعبدها عباده. ولكنه سيريها أنه لم يعد يحبها ولن تستطيع أذلاله بعد ذلك بأسم الحب ـ الحب مقرونا بالذل يصبح مرضا بل طاعونا. يصبح جنونا مكتسحا ومدمرا.

جاءت متأخرة عن ميعادها حوالى النصف الساعة.

جلست أمامه وقالت هامسه : لم أعد أحبك فأتركنى فأنا حالة ميؤس منها، أذهب وأبحث لك عن أمرأة أخرى.

قاطعها قائلاً : لايستطيع أحدا أن يحل محلك. ألا تفهمين ؟

أننى أحبك.

قالت بقسوة : كل محاولاتك معى ستضيع هباء أتركنى.

فقال بعنف : من هو يا مجرمة؟ من هو ؟ ردى.

فقالت بهدوء : هو الخصم الذى لن يستطيع أحد أن ينتزعنى منه. فلم يسبق لاحد أن انتزع منه شيئاً أو أنساناً.

ولقد سبق له أن أنتزع هو من الملوك القياصرة عروشهم وملكهم. أنه هو الذى يحول بين المرأ وقلبه.

فقال هو بسخرية : أذن نصبح أربعة أنا وأنت وزوجك ورجلك

الجديد.

فقالت هى وبنفس الهدوء وقد تجمعت الدموع فى عينيها : أنه لا يقبل شركاء فى حبه.

فسألها بمزيج من الدهشة والغضب : كيف تعرفت عليه؟ أنطقى.

فقالت والدموع تسيل على خديها : صديقه ـ صديقه مخلصة ووفيه عرفتنى عليه فى بيت من بيوته.

فقال هو يخور كالثور الجريح : من هو ؟

ردت هى بهدوء : الله ـ الله سبحنه وتعالى ـ الله هو خصمك ـ والآن لا طاعة إلا له.

نظر اليها هو بحب ويأس وقد أستوعب كل شئ.

رآها وهى تبتسم بهدوء ولاول مره. سأعيش مع زجى الغلبان وأخلص له وهو يحتاجنى اكثر من اى انسان آخر ولقد أكرمنى وأهنته. بل وذبحته ثم أضافت : سامحنى أرجوك ـ فلا حول ولا قو إلا بالله.

ثم تركته ورحلت ـ رحلت الى من يستحق كل هذا الحب واكثر واكثر واكثر ـ رحلت الى الله سبحانه وتعالى.

١٥ ـ الست الهانم

ولدت أنجى وسط بهجة الجميع وفرحهم. أهل أمها وأهل أبوها بدون أستثناء. بالنسبه لاهل أبيها، فان اخاهم الوحيد فقط أنجب أبنه جميله. كانوا بالطبع يفضلونها أبنا وليست أبنه ولكن ماشاء الله جرى والحمد لله على كل حال.

أما أهل أمها فأن ابنتهم قد أثتبتت قدرتها على الانجاب بعد طول شك وحـــيـــرة. وهكذا وُلدت أنجى من اب وأم أتراك، نزح أجدادهما من تركيا لمصر، وقالوا لها أن أسم «أنجى» بالتركى معناه «اللؤلؤ» وشبت أنجى مدلله مرفهه، كل ماتريده تجده.

ولكن عندما تمت الثالثة عشره من عمرها رأت اباها وقد تحول الى رجل شديد صارم. رجل غريب لا تعرفه.

وعندماسألت، قالوا هكذا ستجدينه وقت الجد والشده.

ثم فجأة ذات يوم ـ أمسك أبيها يدها بحنان وقادها الى غرفة مكتبه وشعرت بالخوف لاول مرة فى حياتها.

أجلسها على كرسى أمام مكتبه وجلس هو يواجهها، فتح أحد الأدراج فى مكتبه وأراها مسدسه، فأرتجفت من الخوف وسمعته يقول بشدة : بهذا سيكون حتفك وهكذا سيكون مصيرك إن لم تستطيعى

الحفاظ على نفسك. والدتك ستقول لك كل التفاصيل نظرت الى أبيها وأبتسمت فهى تحبه جداً.

رأى ابوها أبتسامتها فأبتسم هو الأخر قائلاً : أننى أحبك يا أنجى اكثر مما تصورين ولكننى أحب شرفى أكثر، وشرفك هو شرفى فلا تخذليننى أمام الناس. كونى ابنه مطيعه. فكل ما سنؤمرك به هو لصالحك ولسعادتك فافعلى كل ماتؤمرين به.

ثم قام وأخذها وضمها بين أحضانه قائلا : بابا بيحبك جدا ويود لو أستطاع أن يحميك من كل عوائل السنين. كونى نصرة لى وليس عارا.

وكانت هى تنعرف كيف يحبها كما لم يحب أحد فهى أبنته الوحيدة.

وهى الوحيدة التى كانت تستطيع أن تحول الصرامة التى تبدو على وجهه الى ابتسامه حنونه.

أهداها سيارة وهى فى السادسة عشرة من عمرها. وكان لأنجى صديقاتها مالعديدات وكانت تعيش فى جو كله حب وحنان وكانت تحب جدا الامتحانات فى المدرسة.

ليس تفوقا منها ولكنها كما كانت تقول لاحفادها فيما بعد : فى الامتحانات لم أكن مضطرة الا ان اجيب على الأسئلة امامى.

وانما كنت اضع ورقة الامتحان امامى وانساها واسرح فى ملكوت ربنا.

وتعلق المدرسة قائلة : ورقة فاضية برضة يا أنجى ؟

وترد أنجى كما ترد كل مره : أسفه جدا أننى عيانة.

وعند ما أصبحت فى العشرين من عمرها عرفت فى المجتمع الراقى بأسم البرنسيس Princess

وعندما كانت تدخل هى وصديقاتها اى مكان عام كانت ترى الجرسونات وهم يهرولون يعلنون لزملائهم وصولها : البرنسيسة وصلت. ويجرى الجميع يتهافتون على خدمتها. لم تكن مغرورة ولم تكن متغطرسة بل كانت تحب الناس وتحب اسعادهم وكانت ايضا تحب الحياة وتحب أن تحياها وأحيانا كانت تكتشف ان مامعها من نقود لا يكفى لدفع الحساب. لم تكن تطلب من صديقاتها حتى لاتحرجهن، وأنما كانت تنظر الى المتر فيذهب اليها مهرولا فتقول له هامسه : مفيش حساب النهاردة، فيرد الرجل مبتسما : تحت أمرك يابرنسيس. ثم رأته وهى فى الثانية والعشرين من عمرها، شاب وسيم وغنى ومن عائله عريقه وأحبته وكان هذا هو أول وآخر حب فى حياتها. تم الزواج سريعا بالرغم من انها علمت قبل الزواج ان الرجل الذى أجبته مريضا بالقلب وإن كل شئ يجب ان يتم بحساب ونظام محكم وإن أيامه فى الدنيا محدودة ومعدودة. شعرت فجاه بالذعر

وانها مسئولة عن أنسان، ليس فقط أنسان تحبه، بل أنسان فى ايامه الآخيرة فى الدنيا فتفانت فى ارضائه.

وكانت تسأله بحب : اسعيد معى أنت يا عادل؟.

فيرد قائلا بحب : ربنا سبحانه وتعالى أراد أن يهبنى الجنه وأنا لاأزال على قيد الحياة.

ثم يقول وهو يبتسم أبتسامه حزينه : ولكننى سأموت قريبا يا أنجى. لم يعد أمامنا الا القليل.

وترد هى عليه وهى تبكى : أنا سأموت بعدك، أنت حبيبى وزوجى فى الدنيا وفى الاخرة.

مات الزوج الحبيب، الحب الاول والاخير فى حياتها.

أغدق عليها أهله الغالى والنفيس قائلين لها : لقد أسعدتى إبننا فى أخر أيامه يا أنجى ولن ننسى لك هذا المعروف وترد هى وهى تبكى : كنت أحبه حبا يجعل التضحيات هينه وسهلة ولقد سعدت بكل دقيقة عشتها معه. ضاع وضاعت السعادة بعده.

عادت الى بيت ابيها وارتمت فى احضانه هذا الدفئ الذى كانت تجده دائما ومازالت تجده فى احضان أبيها.

أخذها أبيها ورحلا - فقط هو وهى.

لتنسى أنجى الصدمة الأولى فى حياتها.

ظلت وفيه لذكرى زوجها وحبيبها ما يقرب من العشر سنوات وحتى أصبحت فى الثلاثين من عمرها.

وتوفى والدها بعد أن اوصاها أن تتزوج وتبدأ الحياة من جديد مرة أخرى.

زواجها الثانى كان زواجا عقلانيا بحتا ولكنها كانت تشعر ببعض الود لزوجها الجديد وانجبت منه طفلة.

ثم وهى فى الخمسين من عمره، مات زوجها وأصبحت وحيدة فى الدنيا، لا ملاذ لها الا الذكريات، خاصة بعد زواج ابنتها الوحيدة.

وتسأل أحد العلماء : لمن ألجأ اذا ضاقت بى الدنيا؟

فيرد الشيخ على الفور : لله. تلجأين لله يابنتى، سبحانه وتعالى - فهو الونس والانس فارج الكروب، ومعه تنسين الدنيا والناس وكل شئ.

وكانت تتذكر زوجها الاول - اول واخر حبيب. وتشعر انها تراه معها فى غرفة نومها - وتشعر بحضوره فلا تشعر باى خوف - وتقول وكأنما توجه له الحديث : سألجأ الى الله ياعادل.

وتراه وهو يتبسم ويهز رأسه موافقا سعيدا ويقول لها بصوته الحنون : اذا لجأت الى الله يا أنجى ستجدينى عنده سبحانه وتعالى.

وأخذ الصوت الحبيب يردد : هناك ياأنجى - عنده هناك - عنده

هناك يا أنجى وظلت تسمع هذا الصوت الحنون حتى وافتها المنيه ولحقت به ـ لحقت به هناك. والى الابد.

١٦ـ القمر في تمامه

أول مره أراها كنت فى السنه الأولى ثانوى أما هى فلقد كانت فى السنة الثالثة، كانت رائعة الجمال، جمال الوجه وجمال الروح مع خفة ظل ايضا، وهى معجزة من معجزات ربنا سبحانه وتعالى أن تملك أمرأه جمال الوجه وجمال الروح وأيضا خفة ظل.

تسمع ضحكتها وحديثها فتظن أنها ملاك من الملائكة هبط على الارض فى غفله من الزمن.

وفى وقت الراحة فى المدرسة تجدها فى مكتبة المدرسة تقرأ بنهم.

متفوقه على قريناتها فى كل شئ.

وبالرغم من هذا فهى شديدة التواضع تخجل عندمام ترى وتشعر بأعجاب الناس بها.

وزميله تقول لها بمرح : الا يكيفك جمال الوجه والروح وتريدين ايضا ان تفوزى بالنبوغ العلمى والثقافة.

وتقول لها مدرسة الفلسفة : معكى غيرت الدنيا ناموسها وشريعتها ومنطقها : أنتى من أفضل خلق الله.

وتبتسم هى بتواضع وكأن كل هذا المديح يقال لغيرها وليس

لها.

وتعود زميلتها خفيفة الظل تقول : آلا تنظرين فى المرآة فترين جمالك الخلاب.

ويضحك الجميع عندما تقول الفتاة خفيفة الظل : نحن بجانبك «صيع وجرابيع» و«ولاد شوارع». اننى آموت شوقا لارى الرجل الذى سوف يفوز بك.

وتسألها هى وتضحك : ما هى شروطك فى فتى أحلامك ؟

وتجيب هى بدون أدنى تردد : أن يكون رجلا

فتسألها زميلاتها : تريدنيه وسيما بالطبع؟ فترد هدى وهى تضحك هى الاخرى : قلت لك ياعفريته أنتى ياشقيه - أريده رجلا وهذا يكفى.

أتمت هى المرحلة الثانوية بتفوق يفوق توقع الجميع - إن الذى سوف يفوز بها لابد وأنه سيكون أميرا او حتى ملكا.

ألتحقت هى بكلية الطب، وقد كانت محط اعجاب الجميع ورأى الطلاب فى كلية الطب كيف يتعامل كل هذا الجمال مع المرض والموت.

تخرجت بتفوق من كلية الطب وكان تعينها فى الأرياف.

أعترض ابيها قائلا : ليس لهذا خلقتى يا ابنتى.

وترد هى ولكننى لهذا أريد ان اعيش ذهبت الى مقر عملها وأثبتت وجودها هناك طبيبة وكانسانه.

والجمال عادة يأخذ اكثر مما يعطى ولكن هدى اثبتت عكس هذا وكانت مثالا للرحمة والعطاء الذى لا ينضب أو يفتر. والمدهش انها كانت تبدو اكثر جمالا اذا اهملت عنايتها بمظهرها وهى فى دوامة علاج مريض.

كان مرضاها من البسطاء فشعرت بالراحة معهم.

وكانت تقول لهم : انتوا اهلى فلا تترددوا، أطلبوا منى ماتريدونه بدون خجل.

ذهب اليها ابوها غاضبا يقول : الم يأن الاوان لان تعودى لتعيشى بيننا وسط أهلك. لقد تقدم بك العمر وجاء الوقت الذى لابد وأن تتزوجى فيه وأنا لا أكاد الاحق على العرسان. جمالك سيولى ولن تجدى من يتزوجك.

قالت : ساعود يا أبى ولكن ليس الأن. ساعود عندما أطمئن عليهم هنا وأتاكد انهم يسيرون فى الطريق الصحيح وبدونى وصاح أبوها : آنت لستى مسئولة عن الكون : أرجعى ياهدى.

فترد مبتسمه : لا ـ والحمد لله رب العالمين.

لست مسؤله عن الكون ولكننى مسئولة عن هذه القرية

وسيسألنى عنها ربنا سبحانه وتعالى. ثم إن الحياة هنا صحية للغاية.

فيقول أبيها مستسلما آمام حجة أبنته التى يحبها : ألا نراكى حتى كل خميس وجمعة ؟

فترد : سأحضر عندكم كل خميس ولكن يوم الجمعة أمضية مع الفلاحات فى بيوتهن وتصلى الجمعة فى مسجد القرية.

ولا تتخلف أى واحدة منهن عن هذا فكيف أتخلف أنا ؟

ويفكر أبيها وهو حائر : لم أنجب بنتا وأنما أنجبت مشكلة - وهى مشكلة محببه جدا للنفس.

وكان يعلم - وهو رغما عنه فخور بها. أن أبنته لن ترضى بالزواج من أمير، وتعيش حياة مرفهة لاهية، لن ترضى الدكتوره هدى بحياة خالية من المسئولية مسئولية مسؤلية الانسان - آمام ربه - عن نفسه وعن سواه من البشر، سواء رضى بهذه المسئولية أم لم يرضى.

وكأن كل هذا الجمال لم يخلق للحب الذى بين الرجل والمرأة وانما خلق لحب أكبر وأكبر.

نعم الدكتوره هدى ستتزوج فى يوم من الايام - ولكن سيبقى حبها الاول هو مسؤليتها -مسؤليتها فى حربها للمرض والجهل والفقر. هذا الثلاثى المرعب.

ذات يوم سمعت أبن العمده الشاب وهو يقول لصديق : نفسى

أشوف فيها غلطه واحده نفسى والله. فرد صديقه : ستتعب حتى تجد هذه الغلطه، فهى القمر فى تمامه ياحسن.

أسمع لا تجعلنا نكفر، الكمال لله وحده ومن خلقها أكمل منها.

انها ملاك هبط على الأرض فى غير أوانه وغير مكانه.

ثم أدهشت الجميع كما تعودوا دائما أن تدهشهم وهى تعلن خطبتها لشاب ريفى خريج كلية نظرية ويعيش فى الارياف يزرع ارض ابيه وارض اخوته - محدود الدخل ولكن مستور - بعيد كل البعد عن الوسامة ومن عائله أقل من المتوسطه وثقافته على قده.

باختصار هو ليس حلم أى فتاه.

هو الرجل الذى قالت لنا عنه ونحن طالبات فى المدرسة الثانوية : أريده رجلا.

هكذا قالت.

صرخ ابيها قائلا لزوجته : سأقتله قبل أن ينالها. المجنونه تتزوج فلاحا يرتدى الجلبية ويزرع الارض بيديه.

ورأيته معها صدفه ونحن نسير فى شارع من شوارع القاهرة.

رأيتها سعيدة. اما هو فقد كان يبدو كما لو كان رجلا يعيش فى حلم. لا يصدقه ـ بعيد كل البعد عن الواقع.

هو لا يصدق انها تحبه ولكنها كانت تحبه فعلا.

ويفكر هو : كل هذه الرحمة ـ يغدقها عليه ربنا سبحانه وتعالى؟

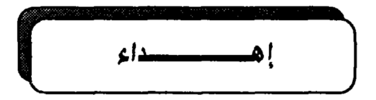
قالت صديقه : كيف تجرأ وطلب يدها للزواج؟

لقد شجعته هي بالطبع الغلبان.

كيف سيسير معها في الطريق؟

وردت الصديقة ضاحكة : نعم وبكل هذه الثقة في النفس.

آما أنه مجنون أو متخلف عقليا. أو أنه لا يعرف منطق الاشياء وعندما سألها أبوها وامها قالت هدى لهما : أذا أردتم ان تحكموا عليه كرجل وكانسان : انسوا مظهره وابحثوا عن الكنوز التى تكمن داخله. لقدوجدت انا هذه الكنوز وهي كنوز لا تقدر بثمن وأنا أحبه وهذا يكفى.



اهدى هذه القصة لابنة خالتى المرحومة السيدة هيام بدران ولابنة خالتى المرحومه السيده / عايدة بدران

اسكنهما الله فسيح جناته

١٧ ـ حبيتى...... وداعا

كنت استيقظ من النوم فاجدنى نائمة فى احضانها، طفله لم أتعد الخامسة من عمرى وهى أختى الكبرى أنصاف تكبرنى بحوالى عشر سنوات. لم يكن لى الا هى.

فلقد مات أبى ثم أمى تباعا أصرت هى الا أعلم تفاصيل موتهما. تركيا أبونا فى بحبوحه من العيش لم تحرمنى اصناف من أى شىء. طلبات كانت كلها مجابه وكان تحرم نفسها لتعطينى. كان يومنا يبدأ بالصلاة. ثم افطارى ووضع السندوتشات فى حقيبتى، ثم تأخذنى هى الى مدرستى واركب ورائها على العجلة وكان طريقنا الى المدرسة كله مرح وسعادة. أو هى كانت تشيع كل هذا المرح حتى لا اشعر انا بالحزن ولو لدقيقة واحدة. وبعد أن توصلنى الى مدرستى تذهب هى الى مدرستها.

ثم تعود ظهرا وتأخذنى من المدرسة وتعود الى البيت واسمع سؤال أنصاف المعتاد: يا ترى أم عبده طبخت لنا أيه النهاردة ياميمسه. وميمسه كان هو أسمع الدلع الذى كانت تقوله لى أنصاف.

كان اسمى فى شهادة الميلاد «مشيرة».

ولكن الأسم الذى كانت تدللنى به هو مميسه.

وكانت صافى وهكذا كنت أدعوها متفوقه فى المدرسة، حبا منها للعلم وليس رغبة فى التفوق.

دنيتنا كانت صغيره للغايه، ليس فيها غرباء سوى أم عبده وأم عبده لم تكن غريبة بالمعنى المفهوم للكلمة فلقد كانت تعمل عدنا عندما كان أبى وأمى على قيد الحياة.

وكانت أم عبده تحبنا وكانت دائما تقول: أمكما الله يرحمها كانت حبيبتى والبيه أبوكم ربنا يرحمه كان يخدم الكل ولن أتركما أبدا الى أن أموت.

كانت صافى تقيم لى حفلات اعياد ميلادى وتقول لى بحنان: أعزمى المدرسة كلها يا ميمسه ولا يهمك. وهكذا كانت حياتنا كلها تمر، وكل يوم يزداد حبنا لبعضنا البعض أكبر وأعمق.

التحقت صافى بكلية عملية وتخرجت وأنا فى المرحلة الثانوية.

وكنت ابادرها بسؤالى: الاتتزوجين يا صافى؟ اترفضين من اجلى كل هذه العرسان؟

كانت صافى بكلية عملية وتخرجت وأنا فى المرحلة الثانوية.

وكنت ابادرها بسؤالى: الاتتزوجين يا صافى؟ اترفضين من اجلى كل هذه العرسان؟

كانت صافى تبتسم بحنان ولا ترد على سؤالى.

وعندما بدأ العرسان فى طلب يدى أنا أيضًا. قبلت صافى الزواج من زميل لها فى العمل.

ثم تمت خطبتها ولم تكمل الزواج الا بعد أن تزوجت أنا ايضا.

بكينا سويا يوم الفراق. وغير الناس اللذين لم يستطعوا ان يفهموا طبيعة العلاقه بينى وبين اختى الكبرى. انها كانت علاقه تكاد ان تكون عضوية وكاننى ولدت منها هى.

أنجبت هى وأنجبت انا ولكن كان مازال الحب موجودا رغم الفراق.

أما الفراق الحقيقى فقد حدث عندما فاجئنا زوجها بسفرها للخارج وأتذكر صافى وهى تصحينى من النوم برقة ويقبله على جبينى، ثم صوتها الحنون : اسمعى بأه ياميمسة اللبن والبيض والا سأخاصمك ولن أكلمك أبدا.

ثم وهى تمشط لى شعرى الطويل قائلة وهى تضحك : إيه الشعر الحلوده يابنت ؟

وركوبى أنا خلفها العجله.

وأهتمامها بواجب المدرسى.

وأرسل لها الرسالة تلو الرساله ـ رساله صامته تصلها عبر الاثير. اينما تكون : صافى ياحبيبتى انتى أجمل مافى حياتى وكانوا

يحضرون الى مصر كل ثلاث سنوات مره والخطابات والتليفونات لم تنقطع لمدة عشرين عاما.

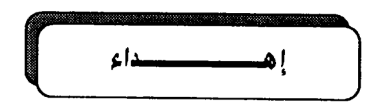
ثم فجأه ـ بضربه من ضربات القدر وقعت الكارثه ـ ونعوا الى موت صافى بعد معركة مع المرض اللعين ـ طالت لمدة ثلاث سنوات. وصافى تصارع الموت وتصرخ قائله : لاتقولوا لها مشيره لا تعرف أى شيء ـ إرحموها ـ ارحموا مشيره أرجوكم وتتماسك وتحدثنى فى التليفون وتعلوا رنه ضحكتها ـ رغم الألم ـ تعلوا رنة ضحكتها عندما كنت احكى لها نوادر ابنى الاصغر ـ، وتقول صافى : طالع لك يا ميمسه.

ووصل نعشها بالطائرة أخذنى زوجى بين زراعيه وهو يبكى أيضا. واتجهنا على الفور لمدفن الأسرة.

أصررت أنا على ان انزل معها التربة وتحديت رفض كل رجال الرسرة وتوسلات زوجى الا افعل.

نزلت معها تحت. اسندت رأسها على زراعى، ثم أرحت رأسها على الأرض وأنا أشعر أن كل شيء فى تفكيرى وفى إحساسى وحتى فى جسدى قد أصيب بالشلل التام.

وقلت بصوت هامس وكأننى لا أتحدث الا لها : العمر ياصافى سنوات تضى ـ أيام أو شهور أو سنوات ومكانى هنا بجوارك ياصافى وبعدها لن يفرقنا احد أو شيء



إهــــداء

هذه القصة أهديها لشهيد الإسلام والتوحيد الشيخ حسن البنا رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

نبذه :

لقد كانت مصر فى فترة من الزمن أرضا للمعركة الطاحنة بين الشيوعية والرأسمالية وليس فقط مصر، بل والعالم كله. وكانت هذه المعركة من القوة بحيث انها كانت على وشك الفتك بمصر لولا رحمة ربنا ونسمع نحن الآن زعيم الإتحاد السوفيتى السابق جور باتشوف وهو يقول علنا : عالم بلا دين عالم بلا أخلاق،

١٨ ـ المطارده

إستيقظ كمال على الصوت القادم من الراديو، صوت مذيع يعلن للعالم إنهيار الشيوعية وإنتهاء الفكر اليسارى والى الا بد هذه المرة.

كمال، رجل متوسط العمر، سجن أيام جمال عبد الناصر عدة مرات بتهمه أنه ينتمى للإخوان المسلمين.

أخذ كمال حمامه اليومى وأدى صلاة الضحى. ارتدى ملابسه وعقد العزم على الذهاب لزميل كفاحه مصطفى فتح له مصطفى الباب وتعانقا بفرحة وكل منهما يعلم السبب : انهيار الشيوعية وهزيمة الفكر اليسارى.

وقال مصطفى نحن نعيش أياما مجيدة.

ثم سأله مصطفى : أتتذكر عبد الجبار ؟

فأجاب كمال : وكيف لا أذكره وهو الذى كان يطاردنا جميعا ويخبر عننا ويعطى عناويننا لرجال الشرطة والمباحث العامة والمخابرات.

لقد كان يطاردنا فى كل مكان وكان وهو اليسارى القديم يعتبر ان الاخبار وألقاءنا فى السجون هو واجبه بصفته شيوعيا حتى أنقلب

عبد الناصر على الشيوعين وزج بهم معنا فى السجون.

ورأيت عبد الجبار وسمعت صوته قادما من زنزانة وهو يقول : ولكن النصر لنا فى النهاية. إنتصار الشيوعية قدرا محتوما. فكنت ارد عليه قائلا : أنت خيبان ياعبد الجبار، النصر لنا فى النهاية. النصر لله سبحانه وتعالى.

دخل مصطفى مطبخه الصغير لاعداد الإفطار والشاى قائلا : ناكل لقمة سويا ياكمال تلاقى بقالك أيام تاكل.

فرد : كمال الفرحة لا تسعنى يامصطفى.

أيتحقق النصر هكذا فجأة ويرد لنا اعتبارنا هكذا على غير توقع، وتنهار الشيوعية بهذه البساطة وبدون أن تطلق رصاصة واحده.

الله اعطانا أكثر مما نحلم. أنها أيام مجيدة تلك التى نعيشها.

ويسأله كمال : ياترى فين عبد الجبار الآن ؟

فضحك مصطفى قائلا : تلاقيه فى حجرة مع الفئران ـ مع شرذمته.

ولكننى سأجده وفتح مصطفى قميصه كاشفا عن صدره والدموع تتجمع فى عينيه.

قائلا : بحق هذه الجروح، الحروق وهذه الكدمات فى جسدى،

لن أتركه.

فقال كمال : دع تسوية الحسابات لله وحده. أترك ربك يدافع عنك ولاتدخل فى معارك فرعية.

أتركه يا مصطفى، ربنا اللى يعلم مابه الان. وهو الذى لايستاهل منك كل هذا الاهتمام.

ويرد مصطفى : أنه ليس ثأرى انا فقط بل ثأر جيل بأكمله ولن أتركه هو وأمثاله.

ظهر الحزن والأسى على وجه مصطفى وهو يقول مبتسما : فى الماضى كانت الشيوعية تطاردالدين والمتدينين، وتنتهى الحكاية ـ يشاء ربك أن تنتهى الحكاية برحمة ربنا أن يطارد الدين الشيوعية، وسيهزمها فى كل أوكارها ويعود الدين العظيم ويحكم قبضته مره أخرى على البشر لصالح البشر.

« نصرة قوية »كما تقول أم كلثوم، ويردد مصطفى هذه الآيات وكأنه يردد أغنيه حب ليس فى الكون أجمل منها : «قد أفلح المؤمنون».

١٩ ـ هنومه وابنها

كانت قد نالت الشهادة الإعدادية والجميع فرحين بها.

وأول مره رأته كانت هى الفلاحة البسيطة الصغيرة وهو الطبيب الشاب الذى جاء ليعمل فى الوحدة الصحية للقرية. وهى سمراأ داكنة السمره من أسرة ريفية فقيره جدا، وكانت تتيه فخرا بالشهادة التى نالتها « الإعدادية »

وكانت أمها تصيح عندما ترى أحدا

أى أحد : عقبال أملتك بنتى هنومه أخذت الشهادة الكبيرة.

وكان لها ولأمها بعض الحق فهى الوحيدة من بين بنات القرية أو حتى من فتيانها التى نالت الشهادة الإعدادية.

أما ـ هو الطبيب الشاب فلقد كان أبيض البشرة شعرة بنى ناعم كالحرير ومن أسره فوق المتوسطة بقليل.

تجرأ أبوها وذهب إلى الوحدة الصحية وقابل الدكتور الشاب قدرى وبادره قائلا : ألا تريد يادكتور فتاة تساعدك فى عملك ؟

هنومه يا دكتور ـ ابنتى قد نالت الشهادة الإعدادية ولا أريد لها الغربة فى البندر ونحن فى حاجة ماسه للمال، أقصد مرتبها يعنى يادكتور.

ايتسم قدرى قائلا : وهو كذلك أنا فعلا محتاج لمن يساعدنى هنا.

وقال الرجل : بنتى شاطره وعقلها متنور ولن تتعبك زغردت أمها قائله : أيوه كده و« من جاور السعيد يسعد »

ذهبت هنومه للوحدة الصحية وقابلت الدكتور قدرى.فانبهرت به وشعرت بالضئاله بجانبه .

مرت الأيام وشعر قدرى انه يحب هنومة، وانه لايستطيع الإستغناء عنها، سواء فى عمله أو فى حياته كلها. نجحت هنومه فى أن تجعل علاقة قدرى بها إدمانا. بدل ان يدمن الإنسان شيئا يدمن انسانا غيره يحيه ولا يستطيع الإستغناء عنه.

وشعرت هى أن قدرى رحمة من السماء، أرسلها الله لها لينقذها مما هى فيه.

تزوجا بين فرحة أهلها وغضب أهله .

وظلت هى تلح على أذنه حتى رضى وسمح لها بأن تغير أسمها بأن تغير هنومه لباكيناز.

تركا الوحدة والقرية وسافرا الى احدى البلاد العربية.

تعلمت هنومه بسرعة وأصبحت ترتدى من كريستين ديور ومارى لوى وسان ايف لوران.

وأصبحت قادره على أن ترطن (على حد قولها) شوية انجليزى على شويه فرنساوى.

تعرفت على أكبر العائلات هناك وعرفت من أين تُؤكل الكتف كما يقولون وهناك ايضا انجبت ابنهائها الخمسة وكلهم ذكور الأربعة الأوائل كانوا بيض البشره شعرهم ناعم كالحرير مثل أبيهم وفرحت هنومه الى أن جاء الابن الخامس أسمر مثلها وشعره مجعد إسود، يفكرها بأخيها السباك وأخاها الآخر عامل المحارة وكرهت ابنها وكأنه القدر الذى جاء ليفضح الا عيبها ويهدم كل طموحاتها. كان كرهها له هى محاولة من عقلها الباطن للدفاع عن النفس.

كرهها كان عملية دفاع عن النفس وكأن الفتى لا يمت لها بصلة.

وزادت محنتها أن أولادها الأربعة متفوقين فى دراساتهم أما هو الإبن الأصغر فقذ كان فاشلا تماما فى دراسته وكان فشله ـ الذى كان بسبب قسوتها فى معاملته ـ كان فشله عذرا وتبريرا لقسوتها الشديدة عليه.

ويسمعها الجيران وهى تصرخ فيه قائله : سأشغلك خدام عند الجيران، إنت لاتصلح للحياة معنا. أنت مش ابنى : أنت.. أنت...

وتظل تكيل له الإهانات ووصل بها الأمر أن خلعت شبشبها من رجلها وضربته به وهو فى الرابعة عشر من عمره أمام جميع أخوته ،

إزداد فشله وإزدادت قسوتها حتى جاء اليوم الذى عاد فيه د. قدرى وعائلته لمصر، ود. قدرى لايعلم شىء عن مأساة ابنه.

وهرب الفتى الغلبان وترك لها البيت والمدرسة وكل شىء عثر عليه البوليس وأخذه أبوه سافرا معا الى الأسكندرية بادره ابوه قائلا وهو يقبل ابنه على جبينه : أنا عايزك تحكى لى وتذكر أنى أبيك ولا يصح ان تخفى عنى أى شىء.

وحكى الفتى وظل يحكى لابيه لمدة اسبوع كامل. عاد إلى القاهره وأخذ الدكتور قدرى إبنه ونزلا فى فندق من الفنادق الفاخرة. وكان الدكتور قدرى يعلم ما يجب فعله. أخذ ابنه وذهبا لطبيب نفسى مشهور.

فقال له الطبيب : الإنفصال يادكتور قدرى الإنفصال ـ

الإنفصال. الإنفصال بالولد عن أمه تماما انه لا يستطيع حتى مجرد رؤيتها، ورمز الأم وحنانها والتداعيات التى تصاحب هذا الرمز قد ولت وانتهت ولن تعود أبدا لابنك.

ذهب قدرى الى منزله بمفرده وترك ابنه فى الفندق. جمع أولاده الأربعة وصاح فيهم بغضب مجنون : أكنتم تتركون هذه المرأة الملعونه تفعل بأخيكم الأصغر مافعلته، يا أولاد الكلب.

وصمت الجميع.

نظر قدرى إلى زوجته وهى ترتعش من الخوف قائلا : هنومه ـ بكيناز هل نسيت إسمك وأصلك وفصلك يا أمرأه ؟

طبعا لقد أصبحتى حرم الدكتور قدرى عثمان.

إنتى انتى طالق بالثلاثة ووخذى أولادك الأربعة ذوى الشعور الناعمة معك ،

وسأعيش أنا وهو بعيدا عنكم.

وأعلموا إن ظفره برقبتكم كلكم.

ثم توجه الى ابنه فى الفندق وأخذه بين أحضانه وهما يبكيان سويا.

وقال قدرى لابنه، لقد خسرت اليوم زوجة وأربعة أبناء وكسبتك أنت وانا الرابح لان فيك الكفايه. سامحنى ياابنى سامحنى فقال الفتى بسعادة : أنا أحبك انت يا بابا وأكرهها هى فلا ترغمنى على الحياة معها، هى سبب فشلى فى المدرسة وسبب فشلى فى كل شى.

رد الأب بحنان : لن تراها مرة أخرى ياحبيبى. لقد ماتت هنومه وكذلك تموت بكيناز.. ولقد يجب زن تموت. وكان يجب أن تموت.

٢٠ - هذا السحر من ذاك القلم

كان أول معرفتها بشكسبير وهى فى العام الأول من دراستها الجامعية. كان شكسبير واحد من مجموعة كتاب فرض عليها دراستهم قرأت كل أعماله الدراسية والشعرية وعندما كانت بجلس مع الإنجليز، كانوا يقولون : أن هناك شيئين لاتخلوا أى مكتبه فى إنجلترا منهما أنهما أعمال شكسيبر، حتى فى مكتبات البيوت الصغيرة نقبت تبحث فى حياته الشخصية فلم تجد إلا القليل، وهذا القليل يخالف تماما ماكتبه عن الأخلاق والمبادىء فلقد كان إنتهازيا يعشق المال وكان المسرح هو طريقه إلى الثروة أما مسرحه فقد كان يرضى كل الأنواق وكان هذا طريقا آخر لجمع المال. أما تعليمه ودراسته فلقد إقتصرت فقط على دراسة النحو والقواعد لمدة قصيرة جدا وهذا يفسر غلطاته النحوية الإملائية فى معظم أعماله وهكذا أحببت شكسير الفنان وكرهت شكسير الرجل.

ثم بعد تخرجها . ذهبت الى الندوه، كانت تناقش مدى تاثير شكسير بالدين ورسالات السماء.

ذهبت هى إلى ندوة كانت تناقش مدى تأثر شكسبير بالدين ورسالات السماء.

ذهبت هى إلى الندوة، وكانت المناقشة مفيدة للغاية. وكانت

الخلاصة أن شكسبير الرجل كان يعلم كل شيء عن الدين ولكنه حول القيم الدينية لقيم إجتماعية بحنكه ومهاره وذلك حتى لا يتحول مسرحه الى كنيسة، كنيسة تقوم بالوعظ المباشر. فى مسرحية تاجر البندقية عبر عن كراهية الإنجليز لليهود ولكن هل كان شكسبير نفسه يكرههم ؟ لا نعلم وفى مسرحية هاملت، نجد فيها كثير من الأيماءات الدينية. بل وهناك تفسير حديث لهذه المسرحية، أن هاملت هو رسول السماء كلفه الله بعقاب أمه وعمه على قتلهما لأبيه وهكذا.

وعندما قالت أم هاملت له : أنه يقسو عليها وهى أمه.

قال لها هاملت : أنا أقسوا عليك رحمة بك لأننى أحبك وأريد إصلاحك.

"I am cruel, only to be kind"

وهذه العبارة تستطيع ان نضعها عنوانا لمقالة دينية تظهر كيف أن الله يقسو علينا أحيانا لأصلاحنا وأيضا عنوانا لدراسة فى التربية والإصلاح.

ونجد فى أعمال شكسير عبارات وأقوال تصلح لأن نأخذ منها نظريات كاملة. والى الآن تظهر نظريات جديدة تفسر شكسبير وأعماله.

وحتى علم النفس وهو علم مازال رضيعا نجد تفسيرات نفسبة حديثة لأعمال شكسبير.

Psychological Interpretation.

كل هذا الصرح ـ الصرح الذى اسمه شكسبير، كان فى الواقع فاشلا فى دراسته، إنتهازيا عاشقا للمال، وليس فوق مستوى الشبهات فى حياته الخاصة وكل هذا السحر الذى كان يقطر به قلمه، وكل هذا السم الزعاف الذى كان يملأ حياته الخاصة، التى لانعرف عنها إلقليل.

خرجت من الندوة وهى تشعر بأعباء شديد.

لقد أعتصرت عقلها وقلبها فى مدة وجيزة جدا هى عمر الندوة.

وحدث أنه بعد يومين دعيت الى حفل عيد ميلاد صديقة. وهناك تعرفت على سيدة إنجليزية تعمل فى إحدى البلاد الأفريقية.

سعدت بها قائلة لنفسها : سأسألها عن بعض النقاط التى تحيرنى فى الدراما. أحضرت طبقين من الحلويات وأعطتها أحدهما وسألتها : هل أنت سعيدة بعملك فى أفريقيا؟

ردت قائلة : أبدا. ولكن ماذا أفعل وأنا لا أجد عملا فى بلدى.

صمتت وأنشغلت هى بأكل الحلوى.

قلت لها أسألها : هل قرأت شكسبير كله ؟

فردت هى بسخرية : لم أقرأ شيئا لشكسبير.

ثم سألتها وأنا أبتسم بأدب : إذن

Alexandre pope

فقالت وهى تضحك : ولا هو ايضا، أنا لاأحب الأدب بوجه عام. ثم ما الذى يجعلنى أقرأ أعمالا لناس ماتوا وانتهوا ؟

وقلت بدهشة : ولكنك مدرسة لغة إنجليزية ؟

فضحكت قائلة : مهنتى ليست التدريس ولكن..

وقاطعتها بغيظ أكمل لها جملتها : ولكنك لا تجدين عملا فى بلدك أليس كذلك ؟

تركتها وقمت بذوق وبأدب وتركتها تأتى على طبق الحلويات الذى كان معها.

قبلت صديقتى قائلة : غلبانه افريقيا لا يرسلون لها إلا الحثالة من البشر.

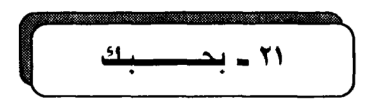
خرجت وأخذت أفكر فى مأساه إفريقيا ـ القارة التى تريد ان تنهض ولكن كيف لها أن تنهض وهى لا يحكمها إلا الرعاع ولا يوجهها إلا من هو نفسه فى حاجة الى التوجيه.

وأخذت ايضا أفكر فى السحر الذى كان وما زال يقطر به قلم شكسبير، الرجل لم يطلب من أحد أن يعجب به شخصيا فهو لم يكتب أبدأ لهذا، كل ما أراده هو أن يعجبوا بأعماله ويملأوون جيوبه ذهبا.

وقد فعلوا طوال هذه السنين.

إهداء

إلى طارق الجبيب



٢١ ـ بحبك

جاءنى خاله ـ جاءنى خاله ـ طبيب مشهور ـ قريب لنا من بعيد، علم أننى تخرجت حديثا.

صاحت أمى قائلة : تعالى ياأمينه الدكتور عبد السلام هنا.

دخلت. وحييت الرجل تحية عابرة فاجأنى هو قائلا : هناك مشكلة لن يحلها غيرك ياأمينة.

فقلت وأنا أبتسم خير يا عمى ؟

فقال بحزن : وصلت أختى بعد جولة فى أمريكا وأوروبا تبحث فيها عن علاج لابنها أشرف ولكن للاسف فشل الجميع فى علاجه.

وقلت بحزن : وما هو مرضه يادكتور ؟

قال بسرعة : تخلف عقلى. ونحن نحاول أن ندخله المدرسة، ولذلك يجب إعداده دراسيا ليكون مستعدا لامتحان المدرسة بعد شهر.

وسألت كم عمره ؟

أجاب ثلاثة عشر عاما نظريا إلى وقال أنه ليس متخلفا إلا دراسيا، ثم أضاف : وعشمنا فيك كبيرا أمينه فقلت وأنا مذهولة : أتريدنى انت أن أقوم بهذه المهمة ؟

فقال : نعم أرجوكى ـ أتوسل إليك، أنت الوحيدة التى نستطيع أن نثق فيها لترعى الولد. ثم أضاف : أنها خدمة لله يا أمينه وأأمرى، اللى انت عايزاه، وأجبت بدون تردد : إتفقنا يادكتور فقال المهمه الصعبة الحقيقية ياأمينة أن لا تجعليه يرتبط بك عاطفيا لأنك ستركية بعد شهر، وهو يحزن ويضطرب اذا ارتبط بأحد ثم يتركه. وأمه ذاتها لاتريد أن تراه، فلقد تعبت وأبوه فى أمريكا لا يريد أن يراه.

أطمئن يادكتور سأكون معه عاطفيا على حياء كامل.

إتفقنا على ميعاد.

ذهبت وفتح لى الدكتور بنفسه قائلا : مواعيدك مضبوطة والحمد لله.

وأخيرا رأيته ـ دخل على منكس الرأس خائفا أطلت النظر اليه ووجدته وسيما للغاية. مد يده لى وأخذت يده وربت عليها بحنان ورأيته يبتسم بخجل ثم فاجئنى قائلا : تحب تشربى أيه أوتحبى تأكلى أيه سعادتك ؟

قال له خاله : إجلس يا أشرف. الآنسة مدرستك الجديدة وستذاكر معك حتى تدخل المدرسة.

وصرخ الفتى قائلا : لا أريد الذهاب الى المدرسة.

وصاح خاله يتظاهر بالغضب : اخرس ياولد وإلا إنت عارف

ماذا سيحدث لك الكرباج بالداخل.

وكدت أن أعترض على هذه المعاملة القاسية ولكننى لم ارد أن أهدم هيبة خاله أمامه. فهو السلطة الوحيدة فى حياته

فقلت أسأله برفق ك لماذا لاتريد الذهاب للمدرسة يا أشرف ؟

أجاب هو ببراءة : الكل يضربنى ويضحك عليه هناك.

فقال خاله بحنان : ألم نتفق ياأشرف أنك ستجتهد فى المدرسة علشان تمسك شركات أبيك فى أمريكا.

فقال هو سعيدا أيوه. أيوه ساكون صاحب ومدير شركات بابا كلها.

ثم نظر اليه وقال : سعادتكم تحبى تشربى حاجة؟ تحبى تاكلى حاجة؟

كان خاله وزوجته ولم يكن عندهما أطفال يعملان صباحا وأذهب أنا الى أشرف قبل أن يخرجا.

ويبادرنى أشرف بالسؤال : هل فطرت يا ميس أمينه؟

وكنت أجيبه وانا أبتسم : أيوه فطرت.

فيقول وهو يضحك : لا مانع أن تفطرى مرة أخرى. ثم يضيف بخفة ظل : عقبال أملتك عندنا جاتوه وعندنا بطارخ. فلنبدأ بالجاتوه

ثم نختم بالبطارخ.

وقلت له : أنا لا أريد شيئا. ولكن عموما يا أشرف الحادق أولا وبعده الحلو.

فقال هو : مش لازم يا ميس نكون زى الناس فى كل حاجة.

ثم أننى عندما سافرت مع بابا الى لندن، عرضت علينا المضيفة فى الطائرة جبنه بعد التورته، وقال لى أبى : إن هذا تقليد غربى لأن الجبنة مهضمة وتساعد على سرعة الهضم.

وبدأ يفاجئنى من وقت لآخر بحكم وذكاء وفطنه أحيانا ـ حكمة الحياة كلها كانت فى عقله ولكنه عاجز عن حل مسألة حساب مهما بلغت بساطتها. كل هذه المهارة العقلية المدهشة ويعجز عن حل أبسط قواعد الحساب.

ويقول لى ذات مرة وقد وثق فيه كل الثقة : بابا وماما لايريدان رؤيتى أنهما يريداننى ناجحا وأنا فاشل، لا أريد النجاح لأننى غير قادر عليه قولى لهما ياميس إن ده غصب عنى ثم يقول لى : لا تتعبى نفسك معى ياميس. أنا عارف نفسى ولا أمل ويقول والدموع فى عينيه. ولكن سأكبر وسأتولى شركات أبى.

وسأتزوج طبعا وسأعطى لزوجتى عشرة جنيهات كل شهر

فقلت له ضاحكة : ياه ياأشرف ده أنت بخيل أوى.

وأبتسم هو قائلا : وقد أراكى وأنا راكب عربية سته متر فى سته متر، قد أراك وأنت عجوزه وستصعبين عليه طبعا. هل ستتذكريننى يا ميس ؟

وأقول له بحب : نعم طبعا سأتذكرك، سأتذكر حبيبى أشرف.

وحدث ما حذرنى منه خال أشرف وتم التعلق العاطفى بينى وبينه وأنتهى الامر. هذا الصبى الطيب كان قادرا على الفوز بحب أى احد.

وفى نهاية كل جلسة لى معه كنت أقول له : تذكر دائما يا حبيبى ومهما حدث لك إن ربنا بيحبك وهذا يكفى.

ويحكى لى هو كيف أن زملائة فى المدرسة كانوا يضحكون عليه.

ويضربونه وكان يصرخ فيهم قائلا فى محاولة للدفاع عن النفس : هل فيكم أحد فى جمالى ـ هه؟

هل فيكم أحد فى جمالى ؟

وأيقنت أن هناك مادة دراسية يجب أن تُضاف الى المنهج الدارسى العام. مادة من المواد أسمها «أنسانيات» يتعلم منها أطفالنا الرحمة والشفقة.

حاولت بكل جهدى أن يستجيب لى دراسيا ولكنها كلها كانت

محاولات فاشلة. معه نجحت فى أن أجعله يضحك من قلبه واخفقت فى أن أعلمه حرفاً واحدا. وكنت أعرف أننى سأتركه بعد شهر واحد. لم استطع أن اعلمه فلأسعده، وهذا بالضبط ما فعلته معه.

كنت احكى له حكايات مضحكة وحكايات عن الحيوانات فيضحك وصوته يعلو فى جميع أنحاء البيت. كان شهر من عمر الزمن، أسعدنى فيها أشرف أكثر كثيرا مما أسعدته. كنا سعداء أنا وهو، ومعا نسينا سويا قسوة الناس والزمن.

نجح فى أمتحان المدرسة، كيف ؟

لا أعرف وعلمت فيما بعد أن أموالاً طائلة قد دفعت حتى يقبلوه فى المدرسة، ويدخل المدرسة ليضربه زملاؤه ويضحكون عليه.

وعلمت ايضا ان مدرس رجل سيتولاه. بعدى فى البيت.

وفى آخر لقاء لى معه قلت له والدموع فى عينه وفى عينى :

سأسافر ولكننى سأعود ياحبيبى فأنتظرنى.

ثم قلت أحاول أضحاكه : ربما وأنت راكب وتقود عربية ستة متر فى سته متر ترانى وأنا عجوزه ـ أصعب عليك وتوصلنى حتى باب بيتى وضع شفتيه على خدى وقبلنى قائلا بحزن :

متشكر يا ميس وسأتذكر دائما ماقلتيه ليه : إن ربنا بيحبنى وهذا يكفى.

٢٢ ـ من اجلها

أخذت أتذكر وانا جالسه فى القطار المتجه الى الصعيد أتذكر الماضى ـ أتذكر زوج أمى الله يرحمه ويرحمها.

تذكرت كيف أنه فاجئنا كلنا وأخذها منا. أنتزعها أنتزاعا.

ونجح فى أن يخطفها منا نحن أولادها، بعد وفاة أبى الله يرحمه ونجح فى أن يأخذها من أشقائها الذكور (أخوالى) الذين كانوا يعتبرونها أختا وأما لهم جميعا.

وكان أخوالى يغالون فى تدليلها، أوامرها كلها مجابة، كانت الأنثى الوحيدة فى العائلة فلم يكن لهم أخت سواها، وبلغ شدة حبهم لها أن كرهوا أن تكون ملكا لأحد سواهم، فكرهوه حتى قبل أن يروه. والحقيقة أنها لم تكن أبدا ملكا لأحد ولكن كانت هى التى تملك وهى التى تأمر فينفذ أمرها فى التو واللحظة. وخطفها أيضا من صديقاتها وأصدقائها. أما هو فكان الآخ الأكبر لخمسة شقيقات يجدونه عندما يحتاجون أليه، وكان زوجها الاول على قيد الحياة ـ رآها ذات مرة عند أصدقاء فأحبها من أول لقاء وهو يعلم أنها متزوجة ولها أطفال صغار.

وكان يبرر لنفسه عدم زواجه بأنه لايستطيع الزواج بغيرها،

وهى متزوجة لم يلفت نظرها ـ وهى ليست فى حاجة لحبه،فالجميع يجبونها ويدللونها. وكانت صديقاتها يثرثرن قائلات :

خُلقت لتُحب، لا لتحِب

إلا أنها أحبت وحبها كان بدون حدود كان حبها تهبه للجميع.

أإنتظرها صابرا بلا آمل.

وكـان يقنع برؤيتـهـا من حـين لآخـر وكـان يحب ويفـرح لهـذه الصدف القليلة التى لم يدبرها له الا القدر بدون اى تدخل منه، فهـو صعيدى النشأة ولايقبل على نفسه خيانة التقاليد المتعارف عليها.

كبرت شقيقاته وتزوجن. وأنشغلت كل واحدة منهن بحياتها، وظل هو وحيدا لا يملأ حياته سوى حبها، حبها عن بعد والصدف السعيدة النادرة التى يراها فيها فجأة وبدون اى تدبير مسبق منه. ثم فجأة مات زوجها وهى فى الاربعين من عمرها. وكانت وفاة زوجها أملا جديدا فى حياته. ولم تعد اللقاءات صدفه بل بتدبيره وأرادته وتخطيطه.

نظرت فـوجدته مـوجـودا فى كل مكان والحب يمـلأ قلبـه وهذا الشعاع الذى تراه فى عينيه، شعاعا تفهمه هى كما تفهمه كل أنثى.

وبدأت علاقة شـريفة وبرئية ومـلأ الحب قلبه وأعطاه الشـجاعة ليقول لها ذات يوم : أريدك... أريدك زوجة لى يازينب.

ونظرت إليه زينب ـ وقد أعتادت أن تستجيب لأى دعوة للحب ـ ما دام شريفا ـ وا فقت هى على الزواج منه قائلة : لى شروط يا على بيه.

قال هو وهو يكاد يبكي من شدة السعادة : أطلبى يا هانم ـ أأمرى قالت بحزم ولكن وهى تبتسم : أولادى وأشقائى وأصدقائى، هم الآن فى حياتى.. وسيظلون فى حياتى سواء معك أو بدونك.

قال : وهو كذلك

قالت هى : أولادى وأخواتى، سيعارضون زواجى منك أو زواجى من أى أحد. وسأخسرهم لفترة من الزمن حتى يعتادوا على الأمر. ويجب ان تعلم أنهم سيكرهونك فى البداية وقد تطول مدة الكراهية فتكون للأبد. من يدرى ؟ أترك لى هذا الأمر. وأنا والزمن كفيلان بعلاجه. ألا تثق فى حسن تصرفى يا على بيه ؟

فقال : بالطبع. ولن اقابل كراهيتم بكراهية من جانبى. وأنا أعلم أنهم يحبونك حبا شديدا وأنا لن أكره أحدا يحبك كل هذا الحب. وربنا يساعدنا جميعا. وأهم شئ يازينب أننى فزت بك. بعدها كل شئ يهون.

تزوجا وقاطعها الجميع وصبرت هى وصبر هو ودامت المقاطعه الى ما يقرب من العام، ثم عاد اليها الجميع يهرولون يطلبون رضاها، لا يستطيع أحد فراقها وليكن كل شئ بشروطها هى وتدبيرها. وهم

يقبلون كل ما تريده ممهما كان.

عادوا اليها ولكن كراهيتهم له هو لم تتغير.

وكانت عادلة فإذا شعرت أن أحدا منهم قد أساء له. تقول:

أرجوكم انه زوجي وأى أهانه له أهانه لى. وأستطاعت هى أن تحول كراهيتهم له الى حياد، ثم حققت المعجزة وبالعشرة والايام، تحول الحياد الى صداقة وود فأصبح واحد منهم وزوج حبيبتهم، دلوعه وحبيبة الجميع.

كان رجلا عظيما وشهما ـ من أجلها ضحى بالكثير وأحبه الجميع بعد طول عداء.

وأنا اليوم أتذكر كل هذا وانا جالسه فى القطار المتجه اليك الى الصعيد لا نفذ وصية أمى الله يرحمها، أن أذهب الى مدافن عائلته فى الصعيد لقراءة القرآن وتوزيع الصدقة على روحة.

الرجل الذى استطاع برجولته الفذة وشهامته وقدرته العظيمه على العطاء أن يحول ذلك الطوفان من الكراهية الى مودة ورحمة.

٢٣ ـ أشوف البخت وأوشوشف الودع وأبين زين أبين

شبت وأدركت الحياة فى بيت العمدة ـ لا تعلم ولا تعرف لها أما أو أبا وكثيرا ما كانت تسمع الناس يهمسون أن العمدة هو أبوها الحقيقى من علاقة آثمة مع أمها. فكانت تكرهه بالرغم من حبه ورعايته لها. وكانت هذه القصة تؤكد وتظهر صدقها : شبهها الشديد بالعمدة، نفس الوجة القبيح والسمرة الداكنة.

ولكن العمدة برغم سواد وجهه كان يطوى بين جنبيه قلبا طيبا، وكان ـ على غير العادة يحنوا على فلاحى قريته ويساعدهم ويحكم بالعدل بينهم.

أما هى فكان ينظر اليها وتسمعه يقول هامسا لنفسه : غلطة عمرى ـ ياساتر يارب.

وكان الفلاحون يتهامسون قائلون لبعضهم البعض : لا يشين الرجل الا هذه العقربة الصغيرة التى تشوه صورته امام الناس.

وعندما أصبحت فى السادسة عشرة من عمرها لمح العمدة للجميع أنه يريد زوجا لها وأنه سيشمله برعايته ورضاه.

لم يتقدم أحد للزواج منها بالرغم من كل هذه الوعود.

أبتسمت زوجه العمدة بتشفى وهمست فى أذن الفتاة : لا أحد يريدك، غلبانه يابنتى.

لم تستطيع فتحية قبول هذه المعاملة وكل هذا التشفى من الجميع. لم تستطيع الاستمرار فى قبول كل هذه المهانة. فهجرت القرية غير أسفه عليها وذهبت الى القاهرة وأنتهى بها المطاف الى العمل خامة فى البيوت، وكلما شعرت بالعذاب وآلام المحنة التى تعيشها، رفعت يديها الى السماء ودعت على ابيها العمدة.

لم يبحث أحد من أهلها أو أهل القرية عنها ولا حتى العمدة، حامدين لله فضله فى حل المشكلة وأختفاء الفتاة وشعر العمدة بعد أختفائها أنه تطهر وإن ربنا سبحانه قد غفر له غلطة شبابه فلقد ذهبت من كانت تفكره فى لحظة وكل ثانية بالحرام الذى إقترفه فى مقتبل شبابه.

وفى أحد البيوت علمتها سيدة البيت الخياطه حتى أتقنتها فتحية ثم رحلت فجأة وبحثت عن غرفة فوق السطوح وهكذا أنقذها ربنا من ذل الخدمة فى البيوت.

نجحت فتحية كخياطة وأستطاعت بالنفاق والمداهنة ـ خبرة خدمة خمسة سنوات فى بيوت الغير ـ أن تكسب زبونات دائمات ـ عملت فتحية كخياطة لمدة ما يقرب من خمسة عشر سنة وكان فى قدرتها بعد ذلك ان تؤجر شقه صغيرة، وأستطاعت أيضا أن تعرف

عن طريق زبوناتها بعض الجمل من اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية.

ثم أخذ نظرها يضعف تدريجيا الى ان أخبرها الطبيب أنها مهددة بفقدان البصر إن لم تتوقف عن الخياطة. وظهر عبد السميع فى حياتها وكان أذكى منها وأمهر فتزوجها لمدة ثلاثة شهور، أحتال فيهم عليها وأخذ كل ثروتها الصغيرة ورحل ومعه شقا العمر كله وقررت مرة أخرى أن تعود للخدمة فى البيوت. الى ان قابلتها شقيقة أحدى زبوناتها القدامى، زبونات الماضى.

قالت لها : أعملى ما سأقوله لك يافتحيه وهى فكرة جريئة مجنونة ولكنها ستنجح.

آلبسى زى بدوية - هذا الرداء الاسود وأشترى مقطف صغير وضعى فيه شوية ودع وأذهبى يوميا للهرم وقابلى السائحين وبشوية كلمات قليلة عن مستقبلهم الغامض ستكسبين الكثير فى دقائق. وسأعلمك أنا بعض الجمل باللغة الانجليزية والفرنسية.

ثم رأى الناس فتحية وهى تقول لسائح أجنبى بانجليزى مكسر : أنت رجل عظيم ولكن حظك قليل كل النساء تحبك وكل الرجال تكرهك، والمستقبل ناجح وانت ناجح ثم تقول بالعربى:

قول يارب.

وعرفت هناك فى منطقة الهرم باسم زيزى البدوية

عاشت فتحية حتى بلغت الثمانين من عمرها ثم عادت مالى قريتها ومعها مرة أخرى ثروة لا بأس بها.

وعندما ماتت بعد ثلاثة شهور من عودتها دُفنت فى مقابر الصدقة.

وصاح أولاد وبنات العمدة : نحن أولى بما تملك فهى أختنا، ومالها - كل مالها يؤول الينا.

وقدموا شهودا وورقة فيها اعتراف العمدة أنها أبنته.

وبذلك أستطاعت فتحية - بعد موتها - أن تحقق ما لم تستطيع تحقيقة وهى على قيد الحياة : وهو أن يعلن شخص ما أى شخص أنتمائها اليه أو انتمائه اليها.

٢٤ ـ «القدر... صديق»

أرسلوها لتبحث عن شيخ ليقرأ القرآن فى بيت أبنة خالتها التى ماتت فجأة سمعت بهيرة الطلب بصعوبة وسط الصراخ والبكاء.

أنطلقت وهى تبكى وأسرعت بعربتها لتبحث عن مقرئ ذهبت الى كل مساجد المنطقة، فم تجد بغيتها فالجميع مشغلون ولا يستطيعون الذهاب معها الى أن وجدت مسجدا صغيرا وبعيدا.

أوقفت عربتها وأسرعت بالنزول ووجدت أمامها على رصيف المسجد أمرأة مسنة قد تعدت السبعين من عمرها وبجانبها ايضا رجل مسن فى مثل عمرها.

والاثنان ـ الرجل والمرأة ـ يرتديان ملابس قديمة ومهلهلة ولدهشتها الشديدة كان الاثنان يضحكان ـ ضحكات صادقة ومن القلب، بل كادا ان يموتا ضحكا نسيت مهمتها الاساسية وتوقفت عندهما. وفكرت : كم من الناس يحلمون أن يضحكوا من القلب مثل هذه المرأة وهذا الرجل.

وماذا قال شكسبير ؟ الفقراء ينامون والملوك يسهرون

قلت لهما : السلام عليكم.

لم يسمعانى فلقد كانا منهمكان فى الضحك فلم يلاحظا حتى

وجودى امامهما. فتحت حقيبتى واخرجت منها جنبها. نظرا أليه ولم يهتما.

وتذكرت قول أحد الممثلين وهو يقول على المسرح ليضحك الجمهور : مين البيه أنا ولا الجنية؟

شعرت بخيبة أمل فهما مصممان على تجاهلى

قلت أسال : أيوجد مقرئ فى الداخل ؟

قالت : نعم

دخل الرجل وتركنا أنا والمرأة : مددت يدى اليها بالجنية.

فقالت وهى ترفض أخذ الجنيه : أنه ليس زوجى بل هو من أهل الله مثلى. ونحن لا نقبل المساعدة إلا من أهل الله.

وأهل الله هم من يترددون على المساجد يصلون ويقرأون القرآن وسبحون.

وهذا المسجد هو بيتنا ونحن لا نأخذ إلا من أهله.

فقلت وأنا أبتسم: أنا مؤمنه إلا يكفى هذا؟

فقالت المرأه بحده: لا. لا يكفى.

فقلت اتوسل اليها وقد تملكنى شعور غريب من الأحباط: أرجوك خذى وأقبلى هذه الهديه الصغيره وفيما بعد سأحضر لك ما

ينقصكما ولصديقك قماشا وأخذيه وكل ما ينقصكما.

فقالت المرآة: الحمد الله رب العالمين. ليس لانك ستحضرين ما تقولين عنه، فبه وبدونه سنعيش فالرزق بيد الرزاق الذى لا رزاق سواه، هو صاحب المنح ولكن الحمد لله إنك ستعودين ونراك مرة أخرى، فقلد أحببتك. وأبتسمت المرأة وهى جالسة على الرصيف وأشارت أليه أن أخفض رأسى فخفضت رأسى لها، فقبلتنى على ج جبينى ومسحت بيدها على رأسى قائلة: ربنا يسعدك يابنتى.

وتجرأت قليلا وسألتها: أسعيدة أننى؟

سمعتكما وأنتما تضحكان من القلب.

فقالت وهى تبتسم: كله من عند ربنا الضحك من عند ربنا وكذلك البكاء من عنده فالحمد لله رب العالمين.

فقلت وقد شعرت بالحب تجاهها: أستطيع ان افعل المزيد أستطيع أن أدير لك مكانا تعيشين فيه.

تجاهلت المرآه الطيبة كل ما قلته، وسألت: من مات عندك؟ قلت وأنا علي وشك البكاء مره أخري:" ابنة خالتى.

فقالت تسألنى: أكانت مثلك؟ فقلت بحزن: بل أفضل، أفضل كثيرا.

قالت المرأة: فى الجنة إن شاء الله. خرج الرجل من المسجد ومعه المقرىء.

ركب المقرىء معى العربة . وأبتسمت لهما ونظرا الى وهما يبتسمان ايضا.

وصحت أقول: سأعود.

سألت المقرئ : اهما يجلسان دائما هنا يا سيدنا الشيخ؟

فقال المقرئ بشئ من القسوة: لا تشغلى بالك بهما فهما لا يحضران هنا إلا كل عام مرة أو مرتين. وهما يلفان البلد كلها ويترددان على جميع المساجد، وهما غريبا الاطوار، فهما يرفضان أحيانا المساعدة ولا أحد يدرى لماذا.

فقلت أنا بعد برهة. أنا أعرف لماذا. فهما لا يأخذان الا من أهل الله.

وهى وهو يعرفان أهل الله عن ظهر قملب وهما أدرى بهم منا.

عدت ولم أجدهما، وأبتسمت وأنا اتذكر المرأه وهى تقلبنى على جبينى وهى تمسح بيدها على راسى. وكأنها تقبلنى واحدة من أهلها. أهل الله.. ونعم بهم من أهل.

٢٥ ـ يوم من أيام الدنيا

دق جرس المنبه فى السبع ه السادسة صباحا تماما وكما ضبطه محسن مساء أمس سمع الجرس ولكنه مد يده واسكته واستمر فى النوم. ثم سمع بائع اللبن يدق بكلتا يديه على باب الشقه. وهو عادة يأخذ يوميا كوب واحد من اللبن من البائع.

قام متثاقلا من النوم يترنح ولاول مره يشعر انه يكره المنبه ويكره بائع اللبن. ويكره اللبن نفسه، ويكره كل ما يجعل حياته منظمه ومنضبطه الى هذا الحد.

أخذ كوب اللبن من البائع، شرب أو ل جرعة فوجده غريب المذاق، فأيقن ان اللبن فاسد ـ وضع كوب اللبن على المائدة ــ لن يذهب الى عمله اليوم. هذا هو ما قرره بسرعه وأتجه الى غرفه النوم اليستأنف نومه.

وقال يتمتم لنفسه: النوم حلو، النوم لذيذ، ليس هناك ما هو أحلى من النوم هذا الموت، الموت المؤقت: الهدنة التى تفصل بين شقاء وشقاء، ساعات قليلة يتوقف فيها كل شيء ونصبح أنفاسا تتردد.

دق جرس الباب مرة أخرى فصاح وكان يعلم أنه بائع

الجرائد ـ لا أريد جرائد اليوم.

جلس فى سريره يستعد للنوم فأذا بالتليفون يدق، قرر الا يرد على التليفون ولكن أخاه الكبير فى المستشفى مريض وربما يكون هذا التليفون بخصوصه.

اتجه الى التليفون وقد صدق ظنه، سمع صوت أخته الكبيره وهى تصرخ: الحق يا محسن أخوك بيموت.

أضطرب كل كيانه وهو يسمع صوت أخته الباكى وصا ح هو الآخر وقد ذهب كل تأثير النو م عليه: سأحضر حالا.

وتذكر أخاه الأكبر. لقد كان أبا للجميع ورفض الزوا ج ليعطى كل حنانه لأخوته الأيتام قائلا لهم: أنتم أخواتى وأ ولادى وليس لى هناك حاجه فى الزوا ج.

أتجه الى غرفة نومه بسرعه ليرتدى ملابسه ولكن التليفون دق مره أخرى، أسرع الى التليفون وسمع صوت صديقته مى وهى أيضا تصرخ فى التليفون تسأله : لماذا لم تأتى أمس، لقد انتظرتك طويلا وعلى العموم كل شيء بينى وبينك أنتهى.

سمع نفسه يقول لها بقسوة: فى ستين داهيه. ولم ينتظر ردا منها فوضع سماعة التليفون منهيا الحديث بينها وبينه.

هو يعلم أنها تحبه ولن تقدر على فراقه بدأ فى أرتداء ملابسه

وهو يفكر فى دمى. مى مى وجه جميل وجسد رشيق ليس الا ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنها حتى وبعد عقد قرانه على شيرين (الفتاه التى أختارها له أخاه الأكبر).

وقد قبلت مى وجود شيرين كأمر واقع فى حياته - هى مستعدة لأن تقبل ما تبقى منه أمراه للعشق وأمرأة للزواج - شيئان مختلفان تماما - ما يفعله ويقوله لى قد لا يستطيع ان يقوله ويفعله لشرين.

ودق جرس التليفون للمرة الثالثة سمع صوت شيرين الرقيق وهى تبادره: صباح الخير يا حبيبى.

رد هو: صباح الخير - ليس هناك وقت للحديث يا شيرين سأتجه الى المستشفى فورا - أخويا مدحت فى حالة سيئة للغاية.

وردت هى: سأقابلك هناك يا محسن.

قاد عربته الى المستشفى وهو يشعر أن شيئا ما يعتصر قلبه فمدحت أخيه لا يعوض.

ثم أتجه تفكيره - وكأن عقله يهرب الى شىء آخر غير حاله أخيه.

هرب عقله الى شيرين - التى عقد قرانه عليها منذ أسبوعين وكان المفروض أن يتم الزواج قريبا لولا مرض مدحت.

يا ترى ماذا تفعل شيرين اذا علمت أن لمى وجود فى حياته وحتى الآ ن. شيرين كانت أختيار أخيه له، ولذلك لا يستطيع التفريط فيها فرغبات وآراء أخيه أوامر ـ هكذا كانت وهكذا ستكون حتى بعد وفاته.

تغيرت أشارة المرور للون الأحمر ولكنه أندفع بسيارته وتصادم مع سياره أخرى ترك محسن سيارته وتوجه لصاحب السيارة الاخرى وهو يصرخ: كم تريد؟ أرجوك أنطق كم تريد، فيجب أن أسرع الى أخى وهو يموت فى المستشفى.

نظر الرجل اليه وقد هدأت ثورته: لا شىء ـ لا أريد أى شىء اسرع الى أخيك وربنا يشفيه وأنا أسف.

فرد محسن: بل أنا اللى آسف لسه فيه خير فى الدنيا.

ترك محسن عربته فلقد تعطلت تماما وأخذ تاكسى وهو يقول للسائق: أسرع أرجوك. أخى بيموت فى المستشفى . أسرع.

قال السائق: ربنا معاه ومعاك يا بيه ـ يعينه ويعينك ربنا.

وصل المستشفى وأعطى للسائق عشرة جنيهات قائلا: متشكر.

وقال السائق على غير العادة: ولكن ده كتير يابيه.

لم يرد محسن وأخذ يجرى. وقف أمام مصعد المستشفى عشرة دقائق وعندما يأس من وصول المصعد، أسرع يجرى الى غرفه أخية

فى الدور الثامن وهو يردد: أخويا ـ أخويا ـ أخويا يارب وصل الدور الثامن وهو يلهث وجد أخوته كلهم هناك بيكون وصرخت أخته وهى تبكى: مات أخوك يا محسن. مات أخوك اللى كان أبوك وأمك وصاحبك، مات وأنتهى.

اسرع محسن الى الغرفة فمنعه أحد موظفى المستشفى ولكنه صرخ فيه قائلا: أتركونى يجب ان أراه.

تركوه يدخل. لم يستطع أن يرفع الملاءه من على وجه أخيه. لا. لن يتذكره وهو ميت سوف يتذكره وهو حى ـ وهو يضحك ـ وهو يبتسم ـ وهو يمازحه، وهو يطعمه عندما كان مازال طفل صغير.

ويتذكره وهو يقول له محاولا لا أن يخفف عليه صدمات الحياة ـ التى لا تخلو حياة أنسان منها قائلا: الدنيا لا تسوى يا محسن، فلا تفكر فيها وأترك كل شىء لاوانه.

وأيضاً وهو يقول له بحب لقد أخترت لك شيرين، فصنها وأحرص عليها عاملها كما كان آباك يعامل أمك الله يرحمها.

يرد محسن: طبعاً يا خويا. انت تفهم أكثر منى وعلى بركة الله.

ويتذكره وهو مريض وهو يقول له: بعد موتى يا محسن أقرأ على روحى قرآن وأدعو لى بالرحمة، فليس عندى ولد من صلبى يدعو لى. وأنت ولدى الصالح.

عقد العزم على أنهاء علاقته بمى، ونظر الى شيرين، و أخذت شيرين يده بين يديها بحنان وقال هو: يا ساتر يارب كان اليوم يوما بألف سنة.

٢٦ ـ صاحب السمو الأمير

عندما قامت الثورة كان هو فى الثامنة عشرة من عمره، حفيد وسليسل أسره محمد على، لقبه الرسمى «امير» من سلالة كلها أمراء. وفى ذلك الوقت كان ابوه قد توفى فلم يشهد غدر الزمان الذى لحق بكل اسرته.

رحلت أمه الى أوروبا بمفردها، بعد ان عرضت عليه الذهاب معها ولكنه رفض. وظل الامير الصغير يواجه الأعصار بمفرده ولم يكن شريرا أو متعاليا بكل كان شابا ظريفا ومؤديا وغاية فى التواضع، وقد عنيت أمه بتربيته وتثقيفه، يخشى أن يجرج احساس احد، على عكس ما بلغه رجال الثورة للمصريين: أن كل افراد البيت المالك فاسدون وشريرون وكان أستاذه الخاص يقول له: علامات النبل والنبلاء هما قلة الحيلة أمام الشر بمعنى عدم الغدر وقلة الحيلة وعدم رد الأذية بأذيه مثلها، ثانيا كراهية العنف وعدم القدره على جرح أحساسات الآخرين.

رحلت أمه وتركت له الباب مفتوحا للحاق بها فى أى وقت، وكان يعلم آنه لو سافر فلن يستطيع العوده الى مصر لن يسمحوا له بالعودة.

رحلت امه قائلة: لم يعد لنا هنا غير المذلة والهوان.

ويرد هو عليها قائلا: ولكننى أحب مصر ولا أرضى بسواها بديلا مهما كانت المصاعب.

عُين الأمير حارساً على كل ما هو موجود فى قصره، لا يستطيع بيع أى شىء فيه وأيضًا خُصص له عشره جنيهات شهريا معاشا له يعيش منه.

لم يعد له إلا خدمة وكلبه.

ولم يهجره خدمة فهم يتذكرونه وهو طفل بل وهو رضيع، وهو رضيع كانوا يحملونه كلهم بالتناوب فرحين به، فلقد كان طفلا وسيما خفيف الظل.

وعمل البعض خدمة فى بيوت الآخرين ليستطيعوا مساعدته ماديا ولكنه رفض. وكان غذائه اليومى عبارة عن علبتين زبادى واحده ظهر ا وواحده مساء مع الخبز، أما كلبه فلقد كان طعامه فته وعيش بعظام اللحمة.

باختصار جاع الأمير هو وكلبه. وعندما بلغ مبلغ الرجال، أحب فتاة تسكن فى منزل مجاور لقصره وأحبته ايضا الفتاة ولكنه فشل فى الزواج منها. فلقد رفضه أهلها وكان سبب رفضهم هو الأرهاب السياسى الذى كان يفرضه رجال الثورة على أفراد العائله المالكة ومما أدى الى عزلهم تماما فى مصر.

وعاش الأمير محروما من كل شيء حتى الحب السوى والزواج.

توفيت امه فى الخارج وكان محرما ان ترسل له نقودا من الخارج. وبعد وفاة امه اصر هو على الاستمرار فى حياته فى مصر.

ذات يوم رأى طفلا من اطفال الجيران يبتسم له فذهب الامير آليه وربت على راسه بحنان الابوه التى حرم منها.

حرمه منها ومن غيرها رجال قست قلوبهم فهى كالحديد أو اشد.

ربت الامير بيده على رأس الطفل. انزعج الطفل ورجع إلى الخلف خائفا منه.

فسأله الامير: مما تخاف؟ أنا لن أوذيك فلا تخف.

فقال الطفل: الست أمير؟

فرد الأمير وهو مازال يبتسم: كنت كنت أميرا.

فرد الطفل بعفوية: أذن أنت وحش. كل الأمراء والباشوات وحشين.

فقال الأمير وهو ما يزال يبتسم. من الغبى الذى قال لك هذا؟

فرد الطفل: المدرس فى المدرسة.

فقال الأمير بحزن: هو يكذب عليك يا صغيرى، فلقد كان هناك

بعض الامراء وبعض الباشوات الطيبين. أتعرف سعد باشا زغلول ـ مصطفى كامل ـ طلعت حرب واحمد شوقى وغيرهم كثيرين ـ كانوا باشاوات وكانوا صالحين. أما العائلة المالكة بكل أفرادها، لم تكن بمثل هذا السوء الذى يقولونه لك عنها. والأيام يا صغيرى ستبين لك ولغيرك من كان الصالح ومن كان الطالح أتحب التاريخ؟

فرد الصبى: نعم.

فقال له الأمير: أذن أقرا تاريخ مصر بعد خمسين عاما من الآن وستعرف كل شىء. ربنا يديلك طولة العمر.

ثم سأله الأمير: ما اسمك؟

فرد الطفل وقد فارقه الخوف: سعيد. فرد الأمير وهو يبتسم ويربت على رأس الصبى: ربنا يجعلك سعيدا يا سعيد.

كان الأمير يرى الطفل يوميا وأصبحا اصدقاء رغم فارق السن، الى ان جاءه خادم من خدمة وهو يقول بحزن: يا صاحب السمو، إن عائلة الطفل لا تريده أن يختلط بك. وعندما رأى الخادم أن الأمير قد مال برأسه الى الأمام يريد ان يخفى دموعه.

قال الخادم للأمير: لا تحزن يا سمو الأمير وتذكر «الخوف»، «الأرهاب» يومها بكى الأمير فى غرفته طوال النهار لو كان تزوج لكان له طفلا مثل هذا الطفل، ولكنهم حرموه حتى من الزواج والانجاب.

وحرموه من العمل وهو يعيش فى قصره القصر الذى أصبح سجنا وهو فيه سجينا وسجانا.

وعاش الأمير مع أصدقائه الأوفياء: خدمة وكلبه ولكنه تحمل، تحمل من أجل مصر، من أجل الحياة على أرضها والدفن فى ترابها.

ثم مات الطاغية فرعون مصر، وتولى بعده الحكم رجل أقل منه قسوة، فرفع الحراسات واباح السفر للجميع.

وسافر الأمير ووجد ان أمه قد تركت له ثروة لا بأس بها ورسالة مع صديقة قرأ رسالة أمه وهى رسالة صغيرة ومختصرة فلقد أملتها وهى فى الآلام الأخيرة للموت: ليتنى بقيت معك فى مصر أم الدنيا ـ أدع لى يا أبنى بالرحمة والله معك.

أمك

عاد الى مصر، فهو لا يستطيع البعد عنها لمدة طويلة، عاد الى الخضرة والنيل والسماحة كافأ خدمة وكلبه اللذين صبروا معه وعليه فى أيام المحنة ولم يهجروه كما فعل البعض.

وتمر السنين ويجلس الأمير فى حديقة قصره، يشرب الشاى وسط الزهور.

رأى فتى يتقدم نحوه، فتى فى حوالى الثامنة عشرة من عمره، وقف أمامه مبتسما لم ينطق الأمير وأخذ ينظر الى الفتى متحيرا.

بادره الفتى قائلا وهو يبتسم: ألا تتذكرنى ياسمو الامير.

فنظر اليه الامير وهو يبتسم ايضا يسأله : مين؟

فرد الفتى : سعيد.

تذكر الأمير الفتى وأتسعت أبتسامته وتذكر دموعه وآلامه واحزان الماضى والعزله والخوف ـ خوف الآخرين: سعيد. أهلا سعيد ـ يا صديقى القديم.

قال الفتى وكأنه يعتذر عما بدر من أبويه فى الماضى : فعلا لم يكن كل الباشوات ولا كل الامراء وحشين. كان المدرس فى المدرسة يكذب، أمروه ان يكذب فكذب.

قام الأمير واخذ سعيد بين أحضانه قائلا وهو يضحك: ربنا يجعلك سعيد يا سعيد.

أوصى الأمير ان يدفن فى مصر وسط أجداده، تاركا ثروته لمن لا يزال حيا فى خدمة، المخلصين.

ولد وعاش ودفن فى مصر، مصريا لا يقل مصرية عن أى مصرى آخر.

٢٧ـ موزارت ويا بهية خبرينى

قرأت سوسن اعلانات الجريدة الصباحية أن سيدة مسنة فى حاجة لرفيقة ترعاها من كل النواحى ، وكانت هى قد حصلت على أحدى الشهادات المتوسطة. أستشارت أمها فقالت الأم التى كانت قد ذاقت مرارة الفقر والحرمان وماله يابنتى ربنا يرزقك ويرزقنا .

فقالت لامها : سأبيت فى منزلها .

فردت أمها : وماله يابنتى ، ده بيت محترم ورفيقتك سيدة كهلة ، يعنى هينوبك ثواب ايضا .

اما الرجل الذى كانت تحبه وكان يريد الخلاص منها باى طريقة فيقول لها : أذهبى الى السيدة المريضة ـ أذهبى ـ لو لم تذهبى يبقى بطر.

وتركها وهو يقول لها ببرود : السلام عليكو.

وصرخت هى تسأله : وأمتى هشوفك ؟

فصاح هو الآخر : حسب الظروف

ويضيف هو : روحى على طول ـ على طول بل حالا أقل لك اسمعى النهاردة قبل بكره.

السيدة المسنة كانت طيبة ولم ترهق سوسن بطلباتها ، علاوة على أن الأكل كان ممتازا وبالمجان.

ثم فجأة ـ رأت حفيد السيدة المسنة رجل فى الاربعين من عمره لم ترى مثله من قبل يمشى ورائحة عطره تحف به.

وكانت أول مرة تعرف ولقد قالت لها السيدة المسنة إن هناك رائحة عطر للرجال ايضا . لم تكن تعرف ان الرجال ايضا يضعون رائحة عطر. ولكن هذا الرجل الرائع كان يضع رائحة لم تشمها من قبل . بعد أن رأى جدته ، حلس فى الصالون وطلب فنجان شاى ثم وضع شريط موسيقى لم تسمع مثله من قبل ووجدته سخيفا للغاية ولا معنى له وقال وهو يتذوق الشاى : إنك لا تحسنين أعداد الشاى.

وذهب للمطبخ فاعد فنجانين شاى واحد له وواحد لها ثم فتح الثلاجة وأحضر باقى قطعة تورته ثم أحضر طبقين صغيرين ثم شوكتين صغيرتين ايضا .

أعطى لها قطعة تورته وبدأ هو يأكل قطعته قائلا : كما ترين اننى أستطيع خدمة الناس كما يخدموننى هم واكثر وافضل .

وفى يوم اجازتها الاسبوعية قالت لامها : شكله مصرى ولكنه خواجه فى كل شئ حتى فى المزيكا التى يحبها .

احبها سريعا كما يحب الارستقراطى طبق المسقعة بالخل

والتوم يأكله من وقت لآخر ويأكله بالعيش البلدى ويوسخ اصابعه ويديه التى تعودنا على الأكل بالشوكة والسكين نسيت هى حبيبها السابق بطل ألعاب القوى فلقد كانت تعلم أن مابينهما كان زيفا وليس حبا والزيف لايؤدى الى الزواج الصحيح ـ زواج العمر فالواحد لايتزوج كل يوم ، هكذا قالت لنفسها.

ومن يستطيع أن يرفض هذا الخواجة بالريحة بتاعته وموسيقاه السخيفة وبأصراره على اعداد الشاى بنفسه.

وتزوجا ، حرم عليها أن تسمع الأغانى الشعبية التى كانت تحبها فكانت تسمعها وهو غائب عن المنزل الى أن قالت له أخته إن زوجته تسمع أنواعا غريبه من الموسيقى ، هجرها وأقسم الايسامح الا اذا وعدته ألا تسمع هذه الأغانى مرة أخرى.

وسمعت أعز اصدقائه يقولون له : زى ما أنت تحب موزارت وباخ وشترواس ، هيه أيضا بتحب عدوية وحسن الاسمر والعزبى.

وأيضا كما أنك بتحب الشاى فى الساعة الخامسة بعد الظهر من كل يوم هى أيضا لها الحق فى أن تشرب القرفه واليانسون والحلبة حصى.

وكان رده : أنا آسف إن نظام بيتى لن يتغير من أجل أحد ولا حتى من أجلها.

ورضخت واستسلمت وكان أغلب وقتها تجلس فى المطبخ تأكل.

وعندما لاحظ هو بدانتها قال لها وهو عابس : حذار فأنا لا أحب المرأة البدينة ـ حاولى ان تجدى لنفسك هواية اخرى غير الأكل.

الخواجة قضى عليها وبدأت تشعر أنها ستجن فعلا .

ومع ذلك فقد كانت تشعر إنها تحبه الى ان جاد اليوم الذى قال لها فيه : أستعدى سنذهب اليوم لحفلة زواج أحد السعاة عندى ، ثم قال لها آمراً : ألبسى ارخص فستان عندك لانريد أن نحرج أحدا.

ذهبا الى الحفل وهى فرحة ففى هذا الفرح ستشعر مرة أخرى أنها فى فرح من أفراح الحارة الحارة التى حُرمت منها ولم تعرف قيمتها إلا بعد أن هجرتها. لقد حرمها منها الخواجة ، حرمها من كل ما تحبه . وحتى الأكل الممتازالذى كان بالمجان والذى كان أمل من أمالها حرمها منه بدعوى أنها أصبحت بدينه ويجب أن تتبع رجيما قاسيا.

حرمها الخواجة من كل ما تحبه

ظهر المطرب الشعبى وبدأ يغنى فابتسمت ثم ظهرت الراقصة وبدأت ترقص فضحكت هى وبدأت تصفق ثم بدأت تصفق على واحدة ونصف مع المطرب والراقصة . نسيت تماما الخواجة الجالس بجانبها

.أمرها زوجها قائلا بعنف : لا تصفقى لم تأبه به وقامت كما لو كان قد مسها مس من الجنون.

وفقت موذهبت الى الراقصة والمطرب وأخذت ترقص وهى تضحك بجنون وتصرخ : وحشونى وحشونى وحشونى.

قام زوجها ومال اليها قائلا وهو يهمس فى أذنها : من هنا على بيت أمك دوغرى .

أخذت ترقص وتصرخ : وحشونى وحشونى ـ حرام عليك ـ وحشونى وحشوها والخواجة اللى بتحبه يروح فى ستين داهية.

٢٨ـ الـزاد والـزواد

جلس على بار فى أحد النوادى الليلية يشرب بتهور فكر قائلا لنفسه : لم أشرب من قبل كما شربت اليوم . لقد حطمتنى ولم أعد فى قوة الماضى وحيويته سالت دموعه على خديه وهو مازال يفكر : لم أعد رجلا ، رجل بدون ارادة لا يعد رجلا . لقد عرف قبلها الكثيرات ولكنها هى فقط التى أستطاعت أن تسلبه قوته ورجولته وهو يحبها ويكرهها حبها يجرى فى عروقه مجرى الدم ويكرهها لانها سلبته أهم شئ فى اى رجل الا وهى كرامته وعزة نفسه.

مصطفى عبد الله ، عرف عنه فى جميع الاوساط بأنه دون جوان ، ترتمى النساء أمامه حتى رأها . أمراة لا تعرف كيف تحب ولاتريد أن تحب الحب عندها ضعف وهى لا تريد الضعف لنفسها تأخذ من أى رجل دم قلبه وتتركه حطاما لايصلح لاى أمرآة اخرى معنويا على الاقل ثم تبحث عن غيره وهكذا وهى ثرية تملك المال والعقار وربما من أجل هذا فهى لا تخضع خضوع المرأة الفقيرة لرجلها.

وأصدقائه يشاهدونه وهو يشرب كل ليلة ويحطم البقية الباقية من نفسه . بقية الحطام الذى تركته هى ، توسط الكثيرون لاعادة المياه الى مجاريها ولكنها رفضت بعنجهية وغرور. وهو كان سيرضى

باى شئ منها و لكنها رفضت تماما العودة اليه

وسالها أحدهم : ماذا فعل ما هو ذنبه ؟

وترد هى : ذنبه كبير ، لقد حاول أن يطوينى تحت جناحيه يريد أن يمتلكنى ويطوينى وكاننى دميه من الصلصال يريد تشكيلها من جديد.

ويصمت الجميع ثم يتحدث احدهم وهو يتذكر مصطفى عبد الله وضحاياه من النساء قبل ان يعرفها . لقد جاء عليه الدور واستطاعت هى أن تربيه من جديد وهو الأن يذوق من نفس الكأس الذى أذاقه للكثيرات ، ويستمر هو يشرب ويشرب . حاول أ ن يقيم علاقات جديدة مع نساء أخريات غيرها ولكنه فشل فشلا ذريعا وكأنه عبد اشترته من سوق العبيد.

وفى يوم جلس على البار يبدأ يومه بالشرب . نظر اليه البارمان وقال له : لقد ترك احدهم طردا صغيرا لك وأوصانى أن أسلمه لك عند حضورك.

ومد يده بالطرد لمصطفى تسلمه مصطفى وهو حائر ، أمعن النظر فى الطرد فوجد كلمة صغيرة مكتوبه عليه من الخارج «النجاة».

أخيرا ويديه ترتعشان ـ فتح الطرد فوجد كتبا ، فبدت منه صرخه خوف شديد أول الكتب كان المصحف الشريف وثانيهم كان

كيف نتعلم تأدية الصلاة والوضوءثالثهم مكتوب عليه الاسلام والحرية والخلاص

أعتكف مصطفى فى بيته بعد أن قرأ المصحف الشريف كله وبدأ بإخلاص يؤدى الصلاة فى مواقيتها، لا يتكرر فرضا كان المصحف يكفى ولكن الكتاب الثالث وضح له ما غمض عليه .

ولاول مرة يشعر أنه حر . انسان حر وليس عبدا لاى أحد أو لاى شئ تنعلق بالصلاة تعلق الغريق بطوق النجاة . لم يكتف بما قرآه وأخذ يقرأ بنهم فى كل العلوم الاسلامية .

وفى البداية كان يخاف ان يقرأ شيئا غير اسلامى خوفا والعياذ بالله من الردة ولكنه مالبث أن تخلص من خوفه وأخذ يقرأ كا ما هو اسلامى وغير اسلامى لم يعد يذهب الى النوادى الليلية.

أنقطع تماما عنها . تساءل الجميع عن سر أختفائه.

أحتارت حبيبة الماضى، تريد أن تعرف لماذ كفت ضحيتها مصطفى عن ملاحقتها والصلاة فى محراب جمالها ، الى أن رآه أحدهم وهو يصلى فى احد المساجد .

ذاع الخبر وعرف الجميع أن مصطفى قد ايقن أن طريق الله وسبحانه وتعالى هو الطريق الأكيد للنجاة «الاسلام والحرية والخلاص».

وبعد أن نفذ صبرها ، أتصلت به تليفونيا وقال لها بهدوء شديد وأدب : لم أعد عبدا لاحد.

هزتها كلماته فانسحبت مستسلمه لأول مرة فى حياتها يفلت من براثنها رجل اى رجل.

وهى لا تدرك تماما ما هى هذه القوة الجبارة التى أنقذت عبد الامس من سجنه معها ومن أى نوع آخر من انواع العبودية عبوديته الكامله اصبحت لله سبحانه وتعالى.

٢٩ ـ عندما تكتسى الأشجار بالحزن

جلس يتأمل الارض امامه وهى ممتدة على مرمى البصر.

وقد أكتست الارض بالخضرة والخضرة لون الأمل والشباب والايمان .

هو لا يلفت نظرة اللون الاخضر وهو ممتد أمامه ـ كما خلقه المولى عز وجل كل مايلفت ويهزه من الاعماق الاشجار فى الخريف وقد تساقطت أوراقها.

فى طفولته وفى شبابه كان فقيرا معدما لم تتح له الظروف حتى ان يكمل تعليمه واكتفى أوفرض عليه ان يكتفى بالشهادة الإعدادية.

هو لاينسى وليس فى استطاعته ان ينسى تلك الايام، عندما كان لايجد لقمة العيش ـ يتيما ـ توفى ابوه وتوفيت امه وانكره الاهل ـ لايريد احد منهم ان يتحمل مسئوليته او يساعده ـ تلك كانت ايام الحزن والجدب. جعلوه يكفر وهو طفل ثم وهو شاب بكل ما هو جميل. جعلوه يكفر بالحب والحنان والرحمة وبكل ما هو أصيل وصادق وسامى. لم يترك عملا إلا والتحق به ولكنه لم يتجح إلا فى الرسم والنحت.

وقد أكتشف وهو فى السادسة عشرة من عمره إن الله سبحانه وتعالى قد وهبه هذه القدرة على الرسم.

ولكن الرسم لم يكن يؤكل العيش الحاف فأصبح التصوير مهنة والرسم هو الهواية.

وفى الثامنه عشره من عمره أشترى عجله ثم أشترى موتوسيكلا. وكان وسيما طويلا عريض المنكبين واستطاع بذكائه المفرط الذكاء الذى تخلقه الحاجة والخوف، أستطاع بهذا الذكاء الذى خلقته الحاجة أن يوقع فى شباكه أحد بنات عائله عريقه وغنية تزوجها فانها عليه المال من كل جانب وأستطاع ان يركب سيارة آحدث طراز ولكنه ظل يشعر بالخوف ـ أحبته وكان متأكدا من حبها ولكنه ظل يشعر بالخوف ايضا ـ خوف بل رعب ويتذكر الفقر القديم أحتال عليها فأصبح كل مالها له ولكنه أستمر يشعر بذلك الخوف اللعين الذى يؤرقه ليلا ونهارا.

وهما يؤثثان بيتهما، أصر على أن يكون اللون الغالب فى الأثاث هو اللون الاسود واللون البنى.

عاش فى قصر ولكنه ظل يشعر بخوف الذى يصحبه كظله.

شعور عاتى وغامض لم يستطع أن يتخلص منه حتى فى أكثر المناسبا سعادة ومرح ضجت المرأة من الجو الكئيب الذى يعيشان فيه فملأت بيتها فجأة وبدون مقدمات ـ بالزرع الاخضر.

أما هو فلقد قطع فرع من شجرة فى الخريف فرع عارى تساقطت أوراقه الخضراء والفرع العارى وضعه فى غرفته بجانب سريره ومهما فعلت أو قالت زوجته إلا أنه أصر على الاحتفاظ بالفرع العارى من الاوراق وظل خوفه معه يلاحقه فى كل زمان ومكان الخوف من زمن الحزن حين لم يكن هناك أمنا أو حبا.

كان شحيحا بخيلا فى ماله وفى عواطفه وكان الغل والسواد يملئان قلبه وكأنه كان يريد أن ينتقم، ينتقم من كل الناس، ينتقم من كل من رأه يموت جوعا وهو طفل ولم يقدم له يد المساعدة أو يشعره بلحظة حنان وحب.

وكان أحيانا يفاجئ زوجته قائلا وهو يهذي: الخريف لابد آت فلنستعد لقدومه »

كان يبكى احيانا وهو نائم فتأخذه هى فى أحضانها وتمسح بيدها على شعره وكأنه طفل صغير يبكى وفى أحضان أمه.

لم يجد أحد ينتقم منه فبدأ يعذبها هى - وهو سعيد لانه وجد أنسانا ـ حتى ولو كانت هذه المرأة التى أعطته كل شئ ـ سعيد لانه وجد أنسانا ينتقم منه.

صرخت فى وجهه وهى لا تزال تحبه: لست مسئولة عن عذابك القديم.

وكان يريد وهو يلهث : الكل مسئول البشرية كلها مسئولة عن عذابى.

وكان يردد وهو نائماً «الخريف لابد آت فلنستعد لمقدمة».

طردها من بيتها واستولى على كل شىء ثم يقول لنفسه: أريد أن استعد للخريف وأواجهه وحدى كما واجهته وحدى وأنا طفل.

ويقول لها وهو يطردها: حبك لى وهم وأنا لا أحب الأوهام، اخرجى من بيتى.

ثم يقول لنفسه وهو وحيد بمفرده. كل هذه الأموال الطائلة لن تمنع قدوم الخريف ولن تحمينى منه.

ثم يقول لنفسه وهو وحيد بمفرده. كل هذه الأموال الطائلة لن تمنع قدوم الخريف ولن تحمينى منه.

وفى ايامه الاخيره قبل موته بايام كان يجلس فى غرفته وحيدا ـ وينسى الخضرة فى الخارج ويظل ساعات وساعات يتأمل فرع الشجرة الداكن اللون.

اصبح طريح الفراش فطلب ان يرى زوجته ـ جاءت على وجه السرعة نظر اليها بعيون كلها دموع وقال لها: سامحينى... لم أستطع... لم أستطع أن أحبك أو أن أحب أحدا.

خرجت هى وهى تبكى. وهى تعلم أنها آخر مرة تراه فيها.

وكان الخدم يسمعونه وهو يقول يهذى بصوت واهن «الخريف لابد آت فلنستعد لمقدمه».

ثم وجدوه فى غرفته وحيدا ملقى على الأرض وقد فاضت روحه الى بارئها وهو يقبض على فرع الشجرة العارى بيده فرع الشجرة العارى، رمز الأحزان حزنه وحزن الآخرين.

٣٠ ـ «على باب الكريم»

جاءت من ريف مصر وهى ف يالرابعة عشره من عمرها، فتاه لا تعرف عن الدنيا إلا قشورها ولا تعرف ايضا شيئا عن قسوتها فى بعض الاحيان.

التحقت بعمل عند عائلة موسرة كريمة، عاملوها جميعا برحمه شديدة. أحبتهم واحبوها، لم تكن جميلة، بل كانت أقرب الى القبح منها الى الجمال، ولكن على وجهها تعبيرا يريحك ويجعلك فى اشتياق شديد الى أن تعرف عن هذه الفتاة المزيد.

وفى السابعة عشره من عمرها عرفت عن الدنيا ما هو أكبر من القشور. فشعرت بخوف شديد: تنظر الى نفسها فى المرآه، فتتاكد كل مرة أن فرصتها فى الزواج تكاد تكون معدومة وأنها يجب ان تكتفى بالحب الذى يظهره لها أفراد العائلة الكريمة التى تعمل عندهم.

ومع ذلك أحبت زينب بائع الجرائد الشاب الذى كان يحضر كل يوم فرعونا من الفراعنة كل يوم ليسلمها الجرائد والمجلات. كان الشاب فرعونا فى القسوة والجبروت ـ خاصة أمامها ـ تقابله هى بابتسامة متلهفة وهو يقول لها بصلف وقسوة وهو يلعم أنها تحبه : جتك البلا فى صباحك.

كانت زينب تضحك وهى تحاول أن تخدع نفسها بأن كلماته هزار فى هزار وأنه لا يعنى حقيقه ما يقول وإن مزاحه معها هو مزاح العشاق والمحبين.

ربة الأسرة ـ بحبها لزينب وبحسها المرهف شعرت بمأساة زينب فتقول لها بحب: هو لا يستاهلك يا زينب.

فترد زينب بخجل: دمه خفيف ياستى. تسكت سيدتها لاتريد ان تجرح شعورها. هذا الذئب يريح زينب ويجعلها بقله أدبه يشعرها بانها أنثى مرغوب فيها.

وعندما تزوج أنهارت زينب تماما.

وعندما عاد ـ مرة اخرى لاحضار الجرائد لهم، بادرها قائلا برحمة هذه المرة: غدا تتزوجين يازينب من آخر يسعدك ويهنيكى.

ثم يضحك قائلا: والله انتى ستها يازينب ـ لم اكن أستاهلك يازنوبه، والخبيثون (اللى هوه انا) للخبيثات) (اللى هيه هى) يابنت.

اضحكى يازينب.

فكرت سيدتها وهى ترى عذاب زينب وبادرتها قائلة: ايه رأيك يازنب تروحى شويه عند أحتى فى السعودية؟

وافقت زينب رغم حزن الجميع لفراقها واجهت تجربه سفرها بالطائره ببلاده شديدة وعدم اكتراث وكأن الحياه والموت يستويان

عندها، وكأنها تتمنى الموت، تريده، تتلهف عليه تنتهى به آلامها.

وهناك أحبتها سيدتها الجديدة كما أحبتها زينب. وهناك فى الاراضى المقدسة وقريبة من بيت الله المعمور، أخذت تتلقى الدروس الاولى البسيطة فى الايمان بالله عز وجل ـ هذه الدروس ترشدها وتقويها وهناك وهى امام الكعبة تحج ويتضاءل كل شىء حتى حبها لعلى بائع الجرائد.

وحجت زينب على نفقة سيدتها وتدريجيا اصبحت تدرك الكثير عن الحياة والدنيا ودخل حياتها حبا شديدا وعظيما.

حب كبير استحوذ على كل كيانها. مع هذا الحب الكبير نسيت حبها الاول وأدركت تفاهته.

عادت زينب بعد عامين الى مصر، رأت فرعون الماضى فى حياتها فلم تشعر بشىء سوى العشره القديمة وواجهته وهى تضحك قائلة: جتك البلا فى صباحك ياواد يا على.

ضحك هو وقال هو بحب: حمدا لله على السلامة يا زينب، اسمعى يابت لقد أسميت أبنتى الكبرى زينب.

فردت هى بحزن: ألاتخاف على أبنتك من أن ينالها نحسى أيضا.

ورد هو بقوه وكان يعلم أنها حجت : نحسى؟ نحس أيه يا

حاجة؟ صلى على اللى حيتشفع فيكى. طيب يارب يلحقها نصف سعدك. أنتى مرضى عليكى من ربنا يابت. ده أنتى حاجة يازينب تعود الجميع على منادتها «حاجة» وعندما تقدم بها العمر وماتت سيدتها بعد أن تركت لها مبلغا كبيرا من المال ورسالة مكتوبه فيها كلمات قليلة ولكنها تدل على حب كبير «حتى لا تحتاجى لاحد يا حاجة زينب».

استأذنت زينب من العائلة فى أن ترحل وتعود لبلدها فى الصعيد، لتقضى البقية الباقية من عمرها هناك.

ولكن قبل رحيلها سمعت فى السوق أن هناك مسجد قريب يريد فراشة تتولى تنظيف الدور المخصص للسيدات المؤمنات.

سارعت زينب ـ وبدون تردد ـ للسيدات المؤمنات، تعرض خدماتها، وقبلوها هناك خاصة عندما علموا أنها حجت بيت الله. كان العمل وسط المؤمنين والمؤمنات ممتعا للغاية.

كان العمل شاقا الا انها تحملته بصبر وبحب وعندما كبرت زينب وبلغت من العمر ارذله رفضت أى اقتراح عليها بالتقاعد أو حتى بأحضار امرأه شابه تساعدها فى عملها. كانت مريضه وهزيله ولكنها كانت تتحامل على نفسها لتذهب الى المسجد ـ بيت ربنا ـ وكانت اذا شعرت بالضعف والعجز، تدعو ربها قائلة يارب آنا رايحة أنظف بيت من بيوتك قوينى ياربى وأعنى.

وتذهب لتنال الثواب والبركة وبعدها تشعر بصحة هائلة.

وجدوها ميته على سجادة صلاة. وماتت الحاجة زينب وهى تصلى وتشكر وتحمد ربنا على فضله عليها.

وشاهد الناس بائع الجرائد العجوز يبكى وسمعوه وهو يصرخ قائلا بعد ان علم بموتها: أين أجد صباح زى صباحك ياحاجة.

٣١ ـ فى عرين الأسد

أحبها حبا شديداً ملك عليه فؤاده. استولى حبها على كل مشاعره وتفكيره. أما هى فقد كان هو الرجل الوحيد فى حياتها، الذى رأته واحبته. لم يكن يستحق منها ولامن غيرها الحب. فلاح لا يمارس اخلاقيات الفلاحين العظيمة رغم علمه بها ، تراه وهو يأكل فيتخيل لك إنك أمام غول لا يترك شيئا لاحد غيره، حتى أمها المقيمه معها، كان يأكل أكلها بدون أى تأنيب من ضميره كان يعرف حقوقه كرجل واساء استعمال هذه الحقوق.

حقوق المرأه، أمرأته لا يعرف عنها شىء ولا يكلف نفسه حتى بمجرد التفكير فيها. كان حبه حبا مع وقف التنفيذ. حبه كان كله كلام فى كلام، حب عقيم، وساعده فى ذلك خنوعها واستسلامها وطيبتها الشديدة.

كان أول أولاده صبيا يشبهه تمام الشبه. رأى اهتمامها بالطفل الجديد، فقال لها بوقاحة: أنا أولى منه.

شعر بغيره شديده منه، لايريد أحدا يشاركه فيها حتى ولو كان أبنه.

أب غير سوى يتحين الفرص لاثبات رجولته وفحولته حتى امام

ابنه أو بمعنى اصح خصوصا امام ابنه أو بمعنى أصح خاصة امام ابنه وكأنه ندا له يحاربه ويبارزه ويقصيه عن المرأة التى يحبها.

كبر الطفل وأصبح شابا يافعا لا يشعر تجاه أباه إلا بشعور عميق جدا بالظلم والغبن. أبوه الذى كان يتحين الفرصة لضربة وأهانته أمام أمه وأمام الناس ثم أنجب طفله هى أيضا كانت تشبه ابيها. كرهها ايضا. فقلد كان يريد فتاه تشبه أمها، لافتاه تشبه أخته وأمه، وتذكره بالفروق التى بينه وبين زوجته الجميلة.

ظلت تحبه حتى بعد أن فهمت شخصيته وأخلاقياته تماما تعجب كيف لأب أن يسكره أولادها وآولاده . وهذه الغيرة الشديدة من ابنه . وهو هو كان يخادع نفسه ويظن أنه أسد فى عرينه، ملكا متوجا، لا يقبل أن يشاركه أحد من رعاياه الذكور فى عرشه.

الى أن جاء الوقت الذى منعه الأطباء عن الأكل والجنس تماما. ظن بتفكيره المريض أنها ستنصرف عنه وعن الإهتمام به. وأن إبنه الذى كان لا يجروء على المطالبه بالعرش سوف يطالب الآن بحقوقه، وظن أنه حان دور ابنه فى أن يكيل له، لأبيه والأهانات ويذيقه من الذل أنواعا وأصنافا. ولكنهم رحموه ـ كلهم رحموه غفروا له ـ أشفقوا عليه فى شيخوخته.

وعندما آن الأوان وأصبح ابنه طبيبا بالرغم من كل معوقات الماضى، إقترب – من ابنه فى محاولة من محاولاته المتكررة لبدأ

صفحة جديدة مع إبنه وقد أيقن أنه من الأفضل له أن يخلع هو نفسه من على عرشه وطواعية، بدلا من أن يقومون هم بخلعه رغما عنه.

ويقول له ـ لأبنه وكأنه يطلب منه أن يغفر له : أسمع يانجيب يابنى الرجل فى بيته أسدا فى عرينه والجميع رعاياه.

نظر الإبن لا بيه وقال له بشفقة شديدة ـ فلقد كان أبوه على أى حال : حتى الأسود فى عرينها ياأبى بتحب وترحم.

نظر الى ابنه وهو يشعر بالضئالة أمامه قائلا لقد كبرت يا نجيب ولم تعد تحترم أبيك وأراؤه.

فقال له ابنه : لقد عشت فى عرين أسد ظالم. لقد كنت ذكرا فى عرين أسد ظالم. ربنا يديك الصحة وطولة العمر ياأبى.

٣٢ ـ النـــــداء

عندما ولدت علوية فى ليلة شديدة البرودة قال كل من رآها أنها كالبدر المنور. شعر أصفر كالحرير ـ عيون زرقاء فى لون السماء الصافية. بشره ور دية ناعمه، خليط من الأبيض والبمبى. صاح الطبيب وهو مذهول من جمال الوليدة الباهرة موجهات حديثه للام : بشرى خير يامدام. إبنتك ولدت لتكون ملكه. وستكون قدم السعد لكل من يعرفها إلا نفسها.

وسألته الأم وهى مذعورة أحد العرافين : هل ستكون تعييسة فى حياتها ؟ فقال العراف بإقتصاب ستكون سعادتها : ستكون سعادتها فى إسعاد الآخرين، ستعطى ولاتأخذ سترحم ولن تُرحم وستنال أقل كثيرا مما تستحق فى الدنيا.

علقت الأم قائلة كذب المنجمون ولو صدقوا.

اسموا الفتاه علوية وجمعت علويه بين الجمال الباهر والأخلاق الطيبة .

فى صباها كانت أمل كل شباب الحى تقدم لها العرسان بالمئات وهى زالت فى الرابعة عشر من عمرها. كانت زميلاتها فى المدرسة يتجنبون صحبتها، لان أى واحدة منهن كانت تبدو كالقرده شيتا وهى

بجانيها والشبان لا يملون من المقارنة.

وكانت صديقتها المقربه. كانوا يطلقون علبها « الفدائية » لأنها تقامر وتفاخر بمستقبلها وتصحب علوية فى كل مكان.

كانت علوية، صديقتها فتحية تقول لها ضاحكة : ستوقفين سوقنا ياعلوية، الجميع يريدونك ـ يريدونك أنتى فقط أما نحن فلنا الصبر والسلوان.

وأضافت فتحية أغنية عبد الوهاب وهى تضحك : كلنا بنحب القمر والقمر بيحب مين ؟

ثم تسأل علوية ضاحكة : ياترى القمر بيحب مين يا علوية ؟

هية ؟ قوليلى ده أنا صحبتك وأختك بتحبى مين يا علوية ؟

وترد علوية ضاحكة ولكن بتواضع شديد : لا أحد ـ أننى أحب الجميع بدون تمييز.

وتقول فتحية بجدية، وقد تخلى عنها مرحها. نظرت الى علوية بحنان وحب قائلة : نعم يا علوية، انتى تحبين الجميع من يستحق ومن لا يستحق. لك الله يا علوية، ثم ظهر صاحب القسمة والنصييب ـ رجل وسيم وغنى ولكن عائلته أقل من المتوسط فى العراقة والأصل. علمت فيما بعد أن أصل ثروته كان حراما فى حرام، لم تشعر نحوه فى البداية وقبل أن تعلم أى شىء عن طبيعته إلا بالمودة والألفة ـ لم

يرتق شعورها نحوه أبدا الى ماهو أكثر من المودة.

ومن العشرة وجدته بخيلا وشحيحا، فضاع من قلبها حتى هذا الشعور بالود.

أنجبت منه ولدين وفتاتين. والأربعة كانوا يشبهون أباهم تماما قلبا وقالبا شكلا وموضوعا ـ قلوب كالحجر أو أشد غلظة.

ولم تنجح تربيتها لهم وكل توجيهاتها فى أن تغيرهم أو حتى أن تقلل من كل هذه المشاعر العدوانية التى سيطرت عليهم ومالبث الرجل أن مل حتى كل هذا الجمال فى بيته، فبدأ يبحث عن المرأه خارج البيت بالرغم من وجود إمرأه نادره معه.

وكانوا يتصلون بها تليفونيا ليقولو لها إن زوجها مع إمرأة محدده، متوقعون أن تثور الزوجة الغلبانه وتهاجم جرسونيرة زوجها وهو مع إحدى عشيقاته العديدات، ولكنها لم تفعل : أولا لأنها لم تكن تحبه الحب الكاف لكى تشعر بالغيرة عليه، ثانيا : أين تذهب بأطفالها الأربعة ؟ حتى الخدم كانوا يعلمون ما يجرى وتسمع إحدى الخادمات تقول لزميلتها أيوه الست علوية ست عاقلة وعلى رأى المثل البيه يلف لفته يرجع بصحته وترد الأخرى قائلة : يا عبيطة انتى شفتى إخوات البيه. أقول لك المثل اللى بيقول «على الأصل دور» علويه قنعت وعاشت. أولادها لم تجد منهم إلا القسوه والجحود. وأستمر الزوج فى خياناته وإنحرافاته. وزدات قسوته مع الأيام وكان

يحاسبها على القرش الواحد، وعلمها منذ البداية أن لا يكون لها أى مطالب شخصية. ينابيع الحنان ـ فى حياتها ـ نضيت بوفاة أبيها وأمها وكل أخواتها. وكانت تذهب إلى مدفن الأسرة بكثره.

ولا يعيدها الى الدنيا وشقائها الا صوت زوجها الغاضب : أهملت بيتك والأحياء وتذهبين إلى الأموات.

وترد هى وهى مازالت محتفظة بهدوئها : هناك من أهم أشد موانا من الأموات.

يثور زوجها قائلا : مع الموتى ؟

هيه ؟ ماذ ا تقصدين ؟

ثم يقول لها : لقد تحملتك كل هذه السنين من أجل أولادى.

فترد كتر خيرك. . وهم فعلا أولادك.

وتذهب للمدفن كما تعودت. لا ولا شيئ استطاع ان يقصيها عنه.

وتتذكر هى وصف صديقتها فتحية لزوجها يا علوية ياحبيبتى جوزك ده جزار ـ أى والله ـ جزار من جزارين الشفخانه.

ويضحكان معا رغم الألم والمحنة.

وتنظر علوية لفتحية بحب أننى اللى فاضلة ليه بافتحية فلا

تحرمينى من زياراتك.

وتذهب الى المدفن ـ وبدأت تسمع أصوات أمها وأبيها وأخواتها : تعالى : تعالى ياعلوية ـ كفاية ـ كفاية ـ لم يعد لك مكانا فى الدنيا ـ لم يعد لك أحدا فيها.

تعالى ـ تعالى ـ تعالى.

ثم تستمع للمقرىء كعادتها وتسمع كلام ربنا المنزل.

وفى يوم قالت لغفيرالمدفن : لن أتأخر عليك ياعم حسنين. عادت الى بيتها الذى لم يكن أبدا فى يوم من الأيام بيتها. لقد كانت دائما غريبة فيه ـ ضيفة على وشك الرحيل. فاضت روحها الى بارئها ـ ترحمت عليها خادماتها وعلا صراخهن.

وعادت الى المدن فى اليوم التالى محموله فى نعش.

ويتذكر عم حسنين غفير المدفن اخر كلماتها له « لن أتأخر عليك ياعم حسنين »

ويبكى الرجل على السيدة الطيبة التى عرفها قائلا : أبهذه السرعة ياست علوية ؟ وبهذه الطريقة ؟ الله يرحمك.

٣٣ ـ الأبنوس الأسود

كانت أول رحلة لها للهند. عملت كمضيفة جوية لمدة عامين. وكانت هذه هى أول رحلة لها للهند. كانت تعلم أن الهند هى بلاد الروحانيات والعواطف الحارة والتوابل الساخنة. هبطت الطائرة فى بومباى نزل الركاب وأدت هى واجباتهاوعملها كما ينبغى . وأول هذه الواجبات أن تضع ابتسامة خالده لاتنتهى على شفتيها. بعد نزول الركاب ـ نزلت هى الأخرى مع باقى طاقم الطائرة. ركبوا العربة التى ستقلهم الى الفندق الذى كان من المفروض ان يقضوا فيه ليلتين ثم يعودو الى مصر الحبيبة.

وسألها قائد الطائرة وهو يبتسم : أهذه أول مره تأتين فيها للهند ؟

أجابت وهى الأخرى تبتسم : نعم قال الكابتن : الهند هى الأخرى كانت أعظم مستعمره فى التاج البريطانى والان الهند مستقله، ولكنها تعانى من المشاكل وأقرأى

لتعلمى الكثير عن الهند "APassage to India"

بقلم جون فورستر وحياة غاندى وأشعار طاغور.

وأخذت دشا ساخنا ونزلت لمطعم الفندق لتتناول العشاء مع

زميلاتها وزملائها. صاح أحدهم : احذرى يا نعمت من الطعام هنا فأغلبه حراق، لاتقدرى عليه، أطلبى لوبستر بانيه، فهو أنسب طعام ونتنوله كلنا الا اذا . . ثم غمز بعينه قائلا : إلا اذا كان احدنا يحب الأشياء الساخنة كل شىء هنا حارق والشمس حارقة الناس هنا أيضا يحبون أيضا كل ماهو حارق وساخن.

ثم رأته هناك جالسا على البار يشرب لفتت إليه أنظار الجميع وكأنهم يقولون هاهو رجل ينتحر.

أو هاهو رجل ينتقم من نفسه.

كان أسود البشرة، أما عيناه لونها أزرق كمياه البحر الصافية. وكانت هذه من المرات القليلة النادرة التى ترى فيها إنسان أسود البشرة وعيونه زرقاء أو خضراء.

نظر إليها وابتسم، لم ترد إبتسامته بابتساه مثلها بل نحت عنه بوجهها، ثم نظرت إليه مره أخرى فوجدت على وجهة أمارات الألم والحزن، تعبير على وجهه يفكرك بالتعبير الذى نجده على وجه الشهداء ان يموتو الموت من أجل مبدأ أو قضية.

ذهبت الى غرفتها، سمعت رنين جرس التليفون، رفعت السماعة فسمعت صوتا يحادثها بالإنجليزية قائلا مساء الخير، آسف انا الرجل الذى نحيت بوجهك عنه ولم تردى ابتسامته الودودة بابتسامه صغيرة منك.

ثم أضاف بجرأه : لقد جرحت مشاعرى وأنت مدينه لى بالإعتذار.

قلت وانا مذهولة : انت سكران تهذى عد الى بيتك وخذ حماما ساخنا ثم من أعطاك نمرة غرفتى. قال بادب : سيدتى، انا لا اريد منك شيئا ولا اطمع فى اى شىء منك : وسأكون صريحاً معك، انا احب فتاة اخرى لا استطيع خيانتها ،كل ما فى الامر اننى ارتحت لك وبدون ان نتحدث ،مجرد أننى نظرت الى وجهك شعرت بالراحة وعلمت اننا سنكون اصدقاء.

قلت باقتضاب أنهى الحديث : شكرا مع السلامة.

قال يصرخ فى التليفون :لا ارجوك دعينى أكمل حديثى معك. أمى تقيم مأدبه غذاء غدا احتفالا بعيد زواجها من المرحوم ابى ـ اترين ـ انها تحتفل بعيد زواجها من المرحوم ابى حتى بعد موته. وسيكونوا الضيوف من جميع الجنسيات ولقد دعوت كل أفراد طاقم طائرتك وعلى رأسهم الكابتن وأرجو أن تحضرى معهم. فقلت وأنا اضحك واشعر نحوه ببعض الود : لقد قلت لى انك تحب فتاه لاتسطيع خيانتها، إذن سأكون فى أمان ولا مانع سأسأل الكابتن وسأحضر معهم.

قال شكرا جزيلا ياآنسه نعمت

قلت : ولقد عرفت إسمى أيضا؟

قال : نعم وإنه اسم جميل بالرغم من أننى لاأفهم معناه.

أضاف بادب : تصبحين على خير، وأحلاما سعيدة.

دخلت سريرى واستغرقت فى نوم هادىء بعد عمل يوم شاق.

ذهبت معهم إلى منزله وذهلت وأنا أرى أمه. امه كانت إمرأه إنجليزية بارعة الجمال ولقد ورث إبنها لون عينيها الزرقاعتين بالرغم من سواد بشرنه الداكن.

رحبت بنا السيدة فى قصرها. وكان المدعوون خليط من الهنود والإنجليز وجنسيات أخرى.

قال لى الشاب معلقا : الإنجليزى والهندى معا فى مكان واحد. هذا شيئ جديد فلم يكن للهنود الحق ـ فى الماضى أن يجتمعو فى مكان واحد مع الإنجليز.

وقال فجأة بعصبية : أننى أكرهها ـ أكرهها.

فقلت بدهشة شديدة : من تكره؟ فقال بتلقائية : هذه المرأة البيضاء هناك ـ أمى ـ أكرهها ـ أكرهها قلت أسأله مذهولة: تكره أمك؟ فرد بحزن شديد : أنتقم لأبى الذى عاش ومات وهو يعتبر نفسه أقل منها فى كل شيء. ولكنه كان يحبها وعاش ومات وهو يحبها.

قلت : نعم وقد كانت هى أيضا تحبه فلم تكرهها؟

لم يرد على سؤالى.

ثم بعد فترة صمت طويلة قال : اقرأى كتاب جون فورستر «الطريق الى الهند » وانتى تعلمين لماذا أكره أمى.

قلت : اسمع. الجميع يلحون عليه أن أقرأ هذا الكتاب - لا أعلم لماذا ولكننى أقل لك ان قضية التفرقة العنصرية قضية من قضايا الماضى والتى انتهت لصالح الملونين. فلماذا النبش فى الماضى يا صديقى؟

قال متجاهلا كل ما قلته : عندما أذهب الى انجلترا اتصرف كما لو كنت هنديا خالصا - هذا حق الهند عندى وعندما أكون فى الهند فاننى اتصرف كما لو كنت انجليزيا خالصا، هذا حق انجلترا عندى. هذا التحدى فى كلتا البلدين يكاد ان يعصف بى ويكيانى.

سمعنا صوت أمه : أيها السيدات والسادة هذه المائدة للهنود وتلك المائدة للأوروبين.

وشرح لى هو هذا الموضوع. ان مائدة الهنود عليها الطعام الحار الملىء بالتوابل.

أما مائدة الاوربين فتكاد تخلو من التوابل تماما .

ثم أضاف : أرأيت - حتى فى الطعام هى ترى ان الاوروبين أفضل من الهنود.

قلت : لا تظلمها ألا ترى أنها تاكل مع الهنود أمامك، ولو كانت

ترى ان الاوروبى أفضل من الهندى لما تزوجت أباك.

وضحكت قائلة : أيها الانجليزى الغشيم دعنا نأكل مع أمك والهنود، فالأكل على مائدة الهنود له مذاق آخر. أقصد التوابل الهندية العظيمة.

جذبنى من ذراعى بقوة وقادنى الى مائدة الاوروبين قائلا: بل سنتصرف فى الهند كما يتصرف الانجليز.

قلت وأنا ما زلت أضحك : اللعنة الابدية على كل هذا التحدى الذى فى داخلك ثم أننى أحب الاكل الهندى.

ولكنه قال بإصرار : فى الهند أنا لا أحبه أما عندما أذهب الى انجلترا فأنا لا أكل سواه.

صاح أحد الهنود وهو يوجه له الحديث بغضب : آلن تغير رأيك وتعود الى اصلك وتلحق بنا على مائدة أهلك وعشيرتك. لم يرد وإنما نظر اليه وابتسم وكأنه فقد القدرة على الكلام.

تناولنا الغذاء وشعرت بيده تقبض على ذراعى - فجأة - بقوة ويقودنى الى الحديقة الملحقة بالقصر.

قال : لم يعد أمامى إلا يومين أعيشهما وبعدها أموت وتنتهى مأساة التحدى التى تدور بلا رحمة فى داخلى.

الوقت ضيق فاسمعينى : انظرى الى هذه الاشجار، إنها

اشـجـار غـاليـة ونادرة ولا يوجـد منهـا إلا فـى الهند وبعض مناطق افريقيا. إنها أشجار الابنوس الاسـود. وكما قلت لك أنها اشـجـار نادرة جدا.

وأضـاف : أننى انظر الى هذه الاشـجـار فـأتذكر غاندى واقبال وطاغور وكل تراث الهند.

قلت بحـزن أسـأله : لماذا كل هذا الاكـتئـاب والحـديث عن الموت وأنت تملك الكثـير. أنت شـاب وسـيم وخفيف الظل و اعتقد ان الناس كلهـا تحـبك. أتذكـر هذا السـيـد الهندى الذى كـان يدعـوك الى مـائدة الهنود أنه كـان يدعـوك لأنه يحـبك، وقلت لى ونحن نأكل إنك حـاصل على ماجستير فى العلوم السيـاسية والحياة ممتدة أمامك فلماذا الموت والهدم والفناء والعدم. قـال والألم بادى على وجـهه : أننى أحب فـتـاة حبـا شـديدا ولكن للأسف هى تحب شـابا آخـر ولا تكاد تشـعـر بى وأحيانا يخيل الى انها تكره فى عيونى الزرقـاء فكراهية الانجليز مـا زالت فى قلوب الهنود حـتى فـى قلوب الجـيل الجـديد منهم فى الـهند. وهو شىء صعب التخلص منه بسهولة.

ولقد بحثت ونقبت فعلمت ان الشاب الذى تحبه ـ شاب مستـهتر يريد أن يلعب بهـا ثم يلفظها كـغيرها. ولقد ذهبت إليـه فى الجـامـعة وهددته إن لم يعلن خطبته بهـا اليوم فسأقتله ـ وهو الى الآن لم يتـخذ أى خطوات ايجـابيـة لإعـلان خطبـتـه بهـا ـ ولذلك فـسـوف أقـتله غدا

وأنتحر.

فصرخت قائلة : أحبك يدفعك للقتل. لا يا صديقى الحب لا يدفع للقتل. و لماذا كل هذا التحدى حتى فى الحب؟

قال : لن أتركه يدمرها.

نظرت إليه ثم الى شجر الابنوس الأسود، وساد الصمت بيننا وتذكرت كلمات كابتن الطائرة : كل ما فى الهند حار.

ثم تذكرت غاندى وطاغور واقبال وكل هذه القدرة الرائعة على الحب.

فقلت : اصرخ : أرجوك أرجوك لا تفعل.

نظر الى ثم جذبنى مرة أخرى. لقد توقف عقلى تماما عن التفكير وأصبحت دمية فى يده يجذبنى هنا وهناك.

عدنا الى الضيوف الذين ألهبت التوابل الهندية الحارقة مشاعرهم.

ساد الصمت بيننا ورأيت دموعا ـ دموع فى عينيه الزرقاء ثم قال وهو يبتسم صديقتى شكرا. شكرا على اهتمامك.

قلت بتوسل : أوعدنى.

أشاح بوجهه عنى ثم أختفى.

أسرعت الى زملائى فقالوا لى : لا تخافى ده مجرد كلام. كلام راجل سكران غير قابل للتنفيذ.

تركنا الهند مساء وكل ما هو حار وساخن فيها فى نفس اليوم بعد المأدبة.

نسيت الشاب تماما الى ان عدنا الى بومباى فى رحلة أخرى، فوجدت بومباى بل الهند كلها تتحدث عنه، وأرانى أحدهم صحيفة هندية باللغة الانجليزية، طالعنى فى الصحف عنوان بالخط الأحمر.

«فى سبيل الحب»

وصورته تحت العنوان. وعلمت أنه نفذ ما كان ينويه. قتل حبيب فتاته وانتحر.

ذهبت الى أمه فى قصرها.

قالت لى بحزن : لن أترك الهند ولن أذهب الى انجلترا، فقبر زوجى وقبر أبنى هنا...

وأكملت أنا الجملة جملتها فى تفكيرى بدون أن أنطق : فلقد تعودت على كل ما هو حار.

سمحت لى بأن أدخل الحديقة : ورأيت شجر الابنوس الأسود وبكيت وهمست لنفسى وأنا ما زلت أبكى وكأننى أحدثه هو : يا صديقى لو أنك فهمت طاغور واقبال وغاندى جيدا ما كنت قتلت.

٣٤ ـ ست الحسن خطفوها التتار

وهى فى الثانية عشرة من عمرها علمت ان هذا الفقر الطاحن الذى يعيشان فيه هى وأمها، إنما هو شىء طرأ عليهما، بعد موت أبيها.

نظرت فى المرآة فطالعتها صورة جميلة هى وجهها، نازك بيضاء البشرة، عيونها خضراء واسعة، وسعر كستنائى طويل ناعم كالحرير.

لم تكن هى فقط جميلة بل وأمها ايضا كانت جميلة. بل لولا السن والبهدلة لكانت أمها تفوقها جمالا وحسنا. وعلمت أيضا انهما من العائلات العريقة. دار الزمن دورته فانقلبت الأمور فأصبح الماشى راكب والراكب ماشى ـ كما يقولون ـ ثم أمتدت يد الله الرحيمة سبحانه وتعالى ـ يده الرحيمة الكريمة ـ لترسل لهما زوجا للأم، فأنتشلهما مما كانا فيه.

قال لأمها ولها، لا أملك إلا الستر أعرضه عليكما فى الحلال وعلى سنة الله ورسوله.

وافقت الأم رغم ولائها الشديد لزوجها الراحل والد نازك ولكنها

أخلصت أيضا لزوجها الجديد، الرجل المقدام والمنقذ الهمام وتعودت نازك ان تلقبه «بأبى» وسر هو وصانها فى عينيه كأبنته وأكثر، وحلت بهما كرم ربنا ورحمته.

تقدمت نازك فى دراساتها حتى حصلت على الثانوية العامة بتفوق والتحقت بإحدى الكليات وهى بعد فى السادسة عشرة من عمرها.

وكان الجميع يعلمون من هى «ست الحسن» فعندما تأتى وتذهب كان الجميع يحملقون فيها مذهولون من جمالها ورقتها، الى ان جاء هو، أسمر داكن السمرة على وجهه ابتسامه غريبة فسرها البعض على أنها ود وحب للناس وفسرها البعض الآخر على أنها خليط من الخبث والدهاء والمكر.

تعلقت به نازك الصغيرة من أول يوم، أخذ يتعبد فى محراب جمالها وحسنها حتى صدقته.

كان نجاحه فى ان يستميلها إليه نجاحا فاق حتى أحلامه.

طلب الزواج منها، فردت بحياء : أذهب لأبى.

نظر إليها بدهاء : ولكنه ليس أبيك بل غريمه، أما أمك فلا أعتقد أنها سترضى.

ثم قال بمسكنه مصطنعة : أترضى أمك أن تزوج كل هذا

الحسن لكل هذا القبح.

ردت نازك بحب وشفقه : لا تقل على نفسك هذا الكلام أرجوك. أنت أجمل الرجال فى عينى.

فسألها وهو يبتسم : أتحبيننى كل هذا الحب يا نازك. أذن دعينا نهرب ولا تعرضى حبنا لكل هذه المشاق والمصاعب.

فقالت بوداعة : لنحاول يا زكى. دعنا نحاول.

تركها غاضبا وابتعد وهى تجرى ورائه وقال هو بصوت عالى على مسمع من جميع الطلبة وكأنه يريد إذلالها علنا وأمام الجميع : لم أعد أريدك فلا تلاحقيننى.

سمعه أحد الطلبة وقال لزميله بصوت عالى هو الآخر : سأضرب هذا الخنزير فى يوم من الأيام ـ قريبا قريبا جداً.

فسأله زميله : أتحبها أنت أيضا؟

فرد الشاب : كل هذه الوداعة والحنو ـ هذه الفتاة الغلبانة ـ لن أضربه فقط بل سأقتله.

فرد زميله وهو يضحك : أذن انت تحبها أيضا ـ كلنا نحبها يا صديقى.

كلنا فى الهوا سوا ـ ومن منا لا يتمنى نازك؟ أتذكر عندما غنت أم كلثوم فى أغنيتها «آراك عصى الدمع».

عندما قال الحبيب لمحبوبته : «قتيلك» فردت المحبوبة بثقة تسأله : «من من هم» ؟

فهم كُثر.

قال الطالب : نعم ولكنها لا تحب إلا هذا الملعون. وعشاقها «كثر» فعلا وهربا كما اراد هو وعقد زواجه عليها وأخذها الى غرفته فوق السطوح وعرفها على أخته التى لم تكن تقل عنه قبحا، قبح فى المظهر وقبح فى الجوهر.

وكان الجنس بكل سطوته تجربه جديدة عليها فملكها زكى وأستحوذ عليها ـ نسيت أمها وأبيها والدنيا كلها.

ثم تحولت حياتها لجحيم وظهر زكى على حقيقته ـ شيطان سادى الطبع.

أمها قوية وشجاعة، رفضت ان تبحث عنها وتقبلت فيها العزاء.

وكانت تقول : نازك ماتت وارينا جسدها التراب، ومن يموت لا يحيا مرة أخرى فى الدنيا.

أما زوج الآم فمات بعد سنة من زواجها وسمعت بوفاته فبكت وشعرت باليتم للمرة الثانية فى حياتها.

إلى ان مرضت أمها، فبحث أولاد الحلال عنها وأخبروها. هرعت الى أمها وأخذتها أمها بالأحضان.

في حضن أمها شعرت بالدفء والحنان والأمان وأمها تبكى قائلة : لا تتركيني يا نازك لا تذهبي إليه. لم يكن يريد سوى اذلالك لم يكن يريد سوى الانتقام. لقد بحث المرحوم زوجي عن نسبه قبل وفاته وعلمنا ا ن جده كان من معاتيق وقف جدك.

انه ليس إلا تركيبه غريبة من الحقد والكراهية. لقد تغيرت الدنيا ولكنه لا يريد ان ينسى الثأر القديم... ولقد أعطى جدك لهم كل حريتهم وأوقف على كل واحد منهم مرتبا سنويا.

أخذتا تبكيان في أحضان بعضهما البعض ثم رأياه واقفا أمامهما وهو يبتسم أبتسامته المعهودة قائلا: ستأتين معي الآن يا حرمه.

نظرت إليه نازك ـ وقد تخلصت من ضعفها او على الأصح عارها. و قد فهمت كل شيء.

لا أريد أن أرى وجهك بعد الآن يا حقير ـ أخرج من هنا.

نظر إليها بحقد وقال صائحا : حتيجي معايا بالذوق ولا أجرك جرا بالعافية قالت نازك بقوة ـ القوة التي يعطيها للإنسان إحساسه الشديد بالظلم : لن أذهب معك.

وقالت الأم بصوت واهن : أرجوك يا بني...

فقاطعها هو بحقد : أنا لست أبنك، أنا أمي لا مؤاخذة كانت

سوداء البشرة، كرتاء الشعر وحضرتك بقى.. فقالت الأم تستعطفه مرة أخرى : أرجوك يا بنى. أذهب ودعنا فى حالنا فقال وهو ما زال يصيح : لن اترك مراتى أم تحبان أن أعيش معكما هنا، وتصرفين عليه يا حماتى؟

فقالت الأم بغضب هذه المرة برغم مرضها وهزالها: أرجوك أننى مريضة أحتضر فارحمنا.

سمع البواب الصعيدى كلمات زكى وبكاء الأم والابنه، وقد كان يعرف القصة بأكملها وبحذافيرها.

تقدم البواب وفى يده شومه، نزل بها على رأس زكى بلا هواده مرات ومرات حتى لفظ زكى أنفاسه الأخيرة بين صراخ الأم وابنتها.

قال البواب بهدوء لنازك : لقد رأيتك وانتى طفله صغيرة ولقد تربيت على أيديا دوله. وكنت أعلم كل ما حدث لكما من هذا الولد. وقد كان جاء الوقت لأنقذ ابنتى الصغيرة من الخطر المحدق بها، ولقد كان هذا الولد بحقده وعقده سم زعاف فكيف أستطعتى ان تجدى لهذا السم مذاق وتشربيه؟

جاء البوليس وبعد التحقيق ظهر أنها كانت حالة دفاع عن النفس وأى دفاع وأى نفس! وبُرىء البواب الصعيدى وعادت الابنه الى أمها.

وجاء الوقت المناسب وبعد أن أكملت نازك دراستها الجامعية وبعد موافقة أمها تزوجت نازك للمرة الثانية من شاب أسمر البشرة أيضا. ولكن هذه المرة كانت سمرته فى سمرة النيل الأصيلة ارتباط سوى ليس فيه غل او حقد او كراهية، بل سماحة وطيبة، السماحة التى تسع الكل.

٣٥ ـ رجل للبيع

منذ أن كان طفلا، رأى وسمع الناس تقول ان أبيه يعيش من الحرام، وعلم هو ما نوع الحرام الذى كان يمارسه أبوه. ان ابيه كان قوادا يدبر ويسهل المقابلات الظريفة بين الرجال والنساء وكان ابوه يعرفهم ويعرفونه. وسمع هو أحد مشايخ المسجد وهو يقول : أنه اذا غضب الله على عبد من عباده رزقه من الحرام وبارك له فيه. إلا أن أبيه كان مدمنا للمكيفات ولعب الورق فلم يستطع ان يهنأ بادخار الفلوس، التى كانت تنهال عليه من كل جانب.

وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره، كان أمامه اختيارات او بالتحديد اختيارين : اما ان يترك أباه ويستقل بنفسه ويعمل ويعتمد على نفسه ويترك الحرام لأهل الحرام وقد يستطيع فى هذه الحالة ـ ان يكمل تعليمه وقد لا يستطيع.

والاختيار الثانى هو ان يستمر مع أباه ويغمض عينيه ويسد أذنيه ويكمل تعليمه فى أكبر جامعات مصر او حتى فى جامعات انجلترا او امريكا. ثم بعد ان يقف على قدميه ويستطيع ان يعتمد على نفسه، يترك أباه ويلغى وجوده من حياته بل وينكره أمام الناس ويتبرأ منه.

وكان على طموحا ورأى ان الحرام أسهل وأسرع ـ هكذا بدى

له : الحرام هو الذى يستطيع ان يوصله لما يريده بقليل من المشقة ـ والمشقة هنا هى ضميره الذى تعود ان يذهب فى غفوات متتالية. ويدى له ان الحلال سيجعله يتحمل تضحيات هو غير قادر عليها ولا يريدها وربما لن تصل به الى شىء.

وكان قد سمع أحد المشايخ أيضا يعلق مرة على شاب منحرف قائلا : هذه هى نتيجة التربية الغلط. أتقوا الله فى أولادكم فلا يرون منكم إلا كل طيب...

أين القدوة الحسنة يا سادة؟

ستسألون، ستسألون يا سادة ـ أقل لكم سيسألكم ربنا يوم الحساب عن أولادكم. أتقوا الله.

ويعلق على يهمس لنفسه : سأعرف الله وأتوب إليه ولكن بعد أن أصل لغرضى.

وتخرج على من أشهر جامعات أمريكا.

واستعد على ماكان قد عقد العزم عليه فى الماضى وهو الغدر برجل ـ هو أبوه ـ الغدر بالرجل الذى شاركه فى المعصية طوال هذه السنين بإرادته ورضاه وبمعرفته فلم يكن يجهل عليه شىء.

واستعد لانكار أبيه ولعنه على الملأ. إلا أن ربنا كان اسرع منه وأرحم فعند وصوله وجد أن أباه قد توفى منذ شهرين، ولم يهتم أحد

بابلاغه الخبر وهو هناك فى بلاد الغربة.

عرض نفسه ـ عندما عاد على شركات كثيرة فى بلده، يريد أن يعمل بل ويتفوق.

يقبلونه مهللين فرحين به ـ كل هذه الشهادات ـ ثم بعد التحريات ـ يعرفون الحقيقة فيقولون له : آسفين، إن الماضى يلاحقنا فى كل مكان يا سيد على.

وشركتنا تقوم على أساس احترام الناس لنا والمرحوم أبوك كان يعرفه الجميع.

كادت نقوده ان تنفذ ولا أحد يقبله بكى على ـ بكى بدموع حقيقية ربما لأول مرة فى عمرة، ثم ما لبث ان عرف طريقه طريقه هو طريق أبيه. طريقه هو طريق أبيه ولكن بطريقة مختلفة فى شكلها مماثلة فى جوهرها. فعمل فى شركة ليست فوق مستوى الشبهات. وكان عمله فى هذه الشركة هو ان يدبر ويسهل المقابلات الظريفة بين الرجال والنساء. بحث عن نوته تليفونات أبيه التى تحوى كل الاسماء وكل الاشياء بل وكل الاسعار ايضا ووضع يده على التليفون يطلب أول مكالمة من هذا النوع فى حياته وقال يهمس : الله يرحمك يا بويا. لقد شاركتك كل شىء وها أنا أشاركك فى كل شىء حتى فى مهنتك حتى وأنت ميت. واعماه تفكيره عن رؤية طرق كثيرة للحلال.

ولكن الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

٣٦ ـ التفاحة والجحيم

عاد الى بلده بعد غربة استمرت حوالى الاربعين عاما. ترك مصر فى زمن كانت مصر فيه بلد الخير والعز.

وتذكر كسوة الكعبة الشريفة وهى تخرج من مصر كل عام متجهة الى السعودية والمرتبات والمعونات التى كانت تمنحها مصر لأمراء وشيوخ السعودية، بل ان مصر كانت دائنة لانجلترا بحوالى اربعة ملايين جنيه. هكذا كانت مصر عندما تركها. وها هو يعود اليها كهلا يريد ان يقضى باقى ايامه وسط اهلها فينعم ويستريح بعد كفاح طال أمده فى الخارج.

لم يتزوج ولم يكن فى يوم من الايام مشروع الزواج ضمن خطته للمستقبل. فلقد تعود أن لا يشاركه أحد حياته حتى ولو باسم الحب.

كانت خطته للأيام الباقية من عمره ان يشترى فى الارياف قطعة ارض فاكهة صغيرة وان يبنى عليها بيتا صغيرا ومسجداً.

كان يفكر فى خطته للمستقبل فينعم وينام هادئا مستريح البال.

فى الغربة ـ كان يسمع صوت الناس فى أغانى عبد الوهاب القديمة فيشعر بحنين جارف لمصر خاصة ريفها فهو لم يكن من هواة

العواصم والمدن.

ناى عبد الوهاب كان يجعله يتخيل انه واقف بجانب ترعة وارض خضراء تواجهه على مرمى البصر.

عاد أخيرا لمصر فوجد أهلها مرهقين ومكدودين بعد كفاح طويل لم يعد له طائل. كفاح لم يصل بهم لشيء سوى الازمة المادية الطاحنة واسئلة كثيرة، لم يجدوا بعد أجوبة لها. المتاهة يعيش فيها الجميع، لا يدركون كيف يهربون من المأزق العظيم.

جلس فى بيته القديم وشعر بالحنين لناى عبد الوهاب الحزين ووضع شريطا لعبد الوهاب فى المسجل وأخذ يستمع وهو حائر أين المهرب والملاذ؟

ذهب الى قريته ـ كما تخيل هو تماما فى الغربة. اشترى الارض وأخذ يعد ا لعدة لبناء البيت البسيط ـ بيت فلاح من فلاحى مصر ـ والمسجد ـ المسجد قرر ان يسميه مسجد «الرضى» وأخذ يفكر وهو حزين ألا يرحم أهل مصر بعضهم البعض؟

والى أين تؤدى بنا كل هذه القسوة وجفاف العواطف؟

كان عليه ان يذهب الى بعض ا لاجهزة الحكومية للحصول على الاوراق المطلوبة للشراء والبناء. كان الانتظار فى الاروقة الحكومية قاسياً فى بعض الاحيان ـ ولكنه لم يعلق ـ لم يصرخ ـ لم يعاتب،

فيكفى هؤلاء المرهقين ما هم فيه.

وفى يوم من الأيام سمع احد الموظفين يقول لزميله : ابنى طلب منى تفاح أمس ولأول مرة ـ و لا أدرى ماذا أفعل؟

قال له زميله بحزن : لا تفعل شىء، غدا ينسى.

قال الأول بعصبية : ان هو نسى فكيف لى انا أن أنسى؟

لم يعلق زميله وإنما نظر إليه بحزن.

فأضاف الأول بنفس العصبية : سأسرق، سأقتل، سأفعل أى شىء لأشترى له التفاح.

فقال الثانى : اشترى تفاحة واحدة فقط وهذا أنسب شىء.

فقال الاول : وماذا عن أخوته وأمهم أنا مش مهم، سأسرق، أقل لك سأسرق.

شعر الغريب العائد برغبة فى البكاء. لم يشعر بهذه الرغبة الطاغية فى البكاء منذ زمن طويل. ولكنه عندما سمع كلام الموظف شعر برغبة شديدة فى البكاء. كاد ان يتقدم للموظف فيعطيه ما يريد او ما ينقصه من مال.

إلا انه لم يفعل خوفا من ان يحرج شعوره.

أنسحب هو وهو يتمتم : أستغفر الله العظيم يا رب.

ثم رد قائلا وكأن مصر كائنا حيا يحبه ويناجيه ويعتب عليه :
كده يا مصر؟ كده؟

ولم يعلم ان مصر بريئة وان المتاهة خلقها بعض ابنائها. والان الجميع يعيشون فى المتاهة ولا يعرفون كيف الهرب منها.

ثم اضاف يقول لنفسه : سننسى اليوم كل شىء عن الشراء والبناء وسنفكر فقط فى مشكلة التفاحة والجحيم.

أنسحب وصوت الموظف لا يريد ان يفارقه: سأسرق، سأقتل وإن نسى ابنى فكيف لى أنا أن أنسى.

٣٧ ـ يعنى يخلصكوا كده؟

هو أبن وحيد أبويه. توفى أبوه فجأة وهو ما زال صغيرا فأخذته أمه لتعيش فى بيت المرحوم أبوها حيث أمها وأشقائها الذكور.

جدته كانت امرأه طيبة القلب. حنونه لدرجة ان ابنائها الذكور الخمسة رفضوا الزواج تماما حتى لا تشترك نساء اخريات مع أمهم فى قلوبهم وكانت جدة صلاح تحث ابنائها دوما على الزواج ولكن ابنائها اصروا على الرفض وباصرار رغم الحاحها المتواصل.

ويقول أحدهم : اختنا خديجة اعطتنا صلاح وصلاح يكفى، ربنا يطرح فيه البركة.

أخذته أمه للبيت الكبير كما كانوا كلهم يدعونه دائما حيث يوجد الحنان والحب والدفء، ولقد حزنت جدته وحزن أخواله لوفاة أبيه فلقد كان أبيه رجل طيب القلب.

ولكن رغم حزنهم إلا انهم شعروا بسعادة بالغة لوجود أختهم الوحيدة وأبنها معهم. فشعور الأبوة وجد متنفسا له عندهم فى حبهم لصلاح الصغير. غرق الفتى فى طوفان من الحب والحنان الذى تدفق عليه من أمه وجدته وأخواله.

وكانوا يقولون لأمه : إن تزوجتى مرة أخرى فاتركى لنا صلاح،

ونحن كفيلون بأن نربيه ليصبح من أفضل الرجال.

وقد كان ــ تزوجت أمه بعد عامين من وفاة أبيه وتركته مع أخواله وهى مطمئنه عليه ــ قريرة العين.

ولم يعد فى دنيا صلاح غير المدرسة والمدرسون وجدته وأخواله. وسعد الجميع عندما رأوه ينجح بتفوق كل عام. لم يبخل عليه أخواله بشىء، لا بالحب ولا بالتدليل ولا بالمال وأحيانا بالحزم عند الضرورة القصوى.

كان يرتدى افضل الملابس ويأكل أفضل الطعام وينعم بحياة مرفهة كلها وئام وحب وسلام. ويطلب لبن العصفور فيحضروه له. وهم سعداء لأنه طلب وسعداء لأنهم استطاعوا ان يلبوا طلبه ــ وفى حينه.

كان لاصدقائه وخلانه كل واحد أبا واحدا أما صلاح فكان له خمسة ولم يستغل صلاح ــ فى يوم من الايام ــ حبهم له. أنجبت أمه طفله صغيرة أحب أخته واحبته ــ وعندما كبرت قليلا ــ كانت أمه تحضر ومعها أخته فينعم بصحبتها بضعة ساعات قليلة، بالرغم من أن فارق السن بينهما كان كبيرا ــ خمسة عشرة عاما.

كبر ووقع فى الحب وبدأ يشعر بعذاب الدنيا المعتاد ــ وكلما صدته حبيبته جرى الى اخواله. دفعوه للزواج منها بأى ثمن ليهنأ ويسعد ولكنها رفضته بدون سبب ظاهر.

وكانت أخته تسمعه وهو جالس بين أخواله الخمسة وهو يشكو لهم قائلا عندما تعذبه أى مشكلة : يعنى يخلصكوا كده؟

فيرد أخواله ملهوفين عليه فى صوت واحد عالى يهز الغرفة هزاً: لا.

ميخلصناش كده يا صلاح.

ومرت الأيام وتزوج صلاح وأنجب ولكن كان البيت الكبير ـ بيت أخواله هو بيته الحقيقى يتردد عليه دائما ـ على الأقل مرة كل اسبوع لينعم بالحب الذى لا يريد ان ينضب.

وأخته تسمعه ـ عندما تواجهه أى مشكلة ـ يقول لأخواله العبارة المعتادة السؤال التقليدى الذى كان ولا زال يوجهه لهم : يعنى يخلصكوا كده؟

ويسمع هو وتسمع هى نفس الرد : لا ميخلصناش يا صلاح.

بدأ يفقد أخواله الاحباء واحدا بعد الآخر وتقل مصادر الحنان والحب فى حياته رويدا رويدا ـ من لطف ربنا عليه ـ والبيت الكبير على وشك ان يغلق أبوابه. وعندما فقد كل أخواله كان يقول عبارته المعتادة وهو يصلى يدعو الله : يعنى يخلصك كده يا رب؟

وعندما تقدم به العمر وأصبح فى الستين من عمره، كان يذهب الى بيت أخته ويوجه لها نفس السؤال وكما كان يوجهه لأخواله «يعنى

يخلصكوا كده»؟

فترد أخته بصوت عالى ومرتفع تحاول أن تجعله كأصوات أخوالها مجتمعين وكأنما تريد ان تشعره وكأن أبائه الخمسة ما زالو موجودين على قيد الحياة ويردون على سؤاله بلهفه : تقول هى بقوه : لا ميخلصناش يا صلاح.

فيهدأ ولو قليلا.

٣٨ ـ A. B. C
من مذكرات مدرسة لغة إنجليزية

أربعة سنوات فى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب، درست فيهم اللغة والأدب الإنجليزى ـ أربعة سنوات وهى تطل من النافذه ـ تطل على حضارة وتاريخ وأدب شعب آخر، يختلف عنا كل الإختلاف، تاريخه فى الممارسة الديمقراطيه قديم قدم الفرسان والمائده المستديرة والملك آرثر.

كل هذا لاينفى أن لنا حضارةخاصة بنا، وهى يجب أن تكون أولى باهتماماتنا وعنايتنا، لان فى هذه الحضارة الاسلامية والعربية مايكفينا ويزيد، وليس هناك مجال لمقارنه بين حضارة الشرق وحضارة الغرب.

حضارتنا أطلت على العالم كله بعظمتها وشموخها، ولكن هذالايعنى ان لانلم بحضارات الشعوب الأخرى ولكن أعيننا ـ دائما ـ على تراثنا، كى لا نحيد ولانضيع، حريصين على أنفسنا ـ وان نضل أو ننحرف عن الطريق، بجذبنا البريق الذى نجده فى حضارات وتاريخ الآخرين.

طلبت منها سيدة ـ بعد ان تخرجت ـ تستنجد بها ان تعطى درسا فى اللغة الإنجليرية لأبنها الصغير. وقد فعلت ولكنها واجهت أول صدمة فى حياتها. طلبت منها أم الطفل أن تبحث عن مدرس للغة العربية ليعطى إبنهادرسا فى اللغة العربية ووجدت مدرسا اللغة العربية. شاب دمث الأخلاق يحب اللغة العربية بل يعشقها. وهو يعلم أن اللغة العربية هى اللغةالتى أختارها الله لتكون لغة قرآنه المُنزل. ذهب المدرس الشاب وقابل والدة الطفل.

سألته الأم : كم تطلب أجرا لقاء الحصة؟

فرد الشاب بأدب : سأتقاضى نفس الأجر الذى تتقاضاه الأنسة هيام مدرسة اللغة الإنجليزية.

صاحت السيدة بغضب : لأ. لأ يا أستاذ قام الشاب مصدوما قائلا لها : أنا آسف لن أتعاون معك حتى ولوا أعطيتينى ألف جنية فى الحصة الواحدة.

ياحمقاء يا جاهلة، حتى ولوا أعطيتينى كنوز الدنيا كلها

ترك الشاب بيتها. صاحت المرأه فى وجه مدرسة اللغة الإنجليزية قائلة بغضب : لقد أهاننى وسبنى ولم أقل الا ماهو معروف ومنطقى نظرت إليها هيام بقرف قائلة : أعذرينى وأبحثى لك عن مدرسة غيرى.

قالت المرأه وهى تصرخ من امتى العربى زى الإنجليزى؟ : على أيه الالاطة دى كلها. أنتما الإثنين بفلوسى أجيب أحسن المدرسين سواء انجليزى أو عربى.

وأدركت هيام ان هناك هوسة جديدة وخطيره أسمها اللغة الإنجليزية قائلا وهو يضحك : قال أحد معارفها

The language of the conquereor

ولم تسأله من هو المنتصر : أهى أمريكا ؟ أم أمريكا وأوروبا بعد إنهيار وموت الدب الروسى.

أدركت هيام كما أدرك الجميع أن اللغة الانجليزية أصبحت وسيلة للتميز الإجتماعى والتعالى والتفاخر.

وعلق مدرس آخر : ادا قالوا لى ان الإنجليزية هى لغة العلم حاليا ولذلك يدرسونها قد أحترمهم. أما التميز والتعالى والتفاخر فهم اشياء لا علاقة لهم بالعلم والتقدم.

ومرت بهيام تجارب أخرى ورأت كيف يفرح الأباء بأولادهم الصغار عندما يرددون A.B.C وكأن الـ A.B.C هى مفتاحهم للجنة.

وتسمع احد الأباء وهو يقول لطفلة : غنى ياولدلعمك الـ A.B.C. ويغنى الولد مزهوا بنفسه فخور به أبوه لا أحد ينكر أهمية

اللغات، ليست فقط اللغة الإنجليزية بل كل اللغات، لأنها نوافذ نطل بها على حضارات أخرى، حضارات العالم وعلومه.

نحن لانرفض اللغات الأجنبية وأحمق هو من يرفضها ولكننا نرفض هيمنتها وسيطرتها على حياتنا وحياة أطفالنا.

لقد تدهونا وتدهورت معنا لغتنا الان الجميلة لغة العظمة والشموخ.

وما نفعله بأنفسنا وبلغتنا ليس الا جريمة. جريمة لاتغتفر مدى الحياة. والـ A.B.C ليست هى المفتاح لدخول الجنة فالجنة للمتقين، حفظة القرآن الكريم وكيف نقدس اللغات ونتفوق على لغة القرآن الكريم والإسلام وحضارته ؟ وبدون تعصب أو تحيز ـ لاشىء ـ لاشىء يعلوا ويزيد أهمية عن كلام ربنا فى قرآنه العظيم.

٣٩ ـ عربة فى مهب الريح

استيقظت وهى تشعر بشعور شديد من الإحباط والحزن حلمت أنها تملك عربة ـ ولم تكن تمتلك أى عربة ـ وأنها تقود العربة ـ وهى لاتعرف القيادة ولم يسبق لها ان قادت أى سيارة من قبل ثم حلمت ان ثلاثة أطارات من عربتها قد إنفجروا فى لحظة واحدة وانه لم يبق الاأطار واحد وأن العربة قد توقفت تماما عن السير. وحلمها إنتهى بأنها جالسة فى السيارة لاتدرى ماذا تفعل ولا كيف تصلح مافسد وان ريح قوية عاتيه اخذت تهز العربة يمينا وشمالا لم تخرج من العربة بل ظلت جالسة لاتدرى مادا تفعل.

وعلقت قائلة لنفسها بحزن : بقى يوم ميبقى عندى عربية، ثلاثة مَن أطاراتها تنفجر. يادى النحس الأزلى.

حلم مُحبط للغاية. أقدر لها أنها لو تملكت عربة فى يوم من الأيام، ان ثلاثة اطارات من اطاراتها الأربعة تنفجر فى لحظة واحدة. وهى تستمر فى الجلوس فيها لا حول لها ولا قوة وسط رياح قوية عاتية.

وهمست لنفسها : قد يكون تفسير الحلم هو اننى ساصاب بالشلل. هذا التفسير هو التفسير هوالتفسيرالوحيد لحلمها.

ذهبت الى عملها المحبط أيضا الذى لاتحبه ولا تستعذيه والذى فُرض عليها فرضا ان يمكتها فى يوم من الأيام أن تشترى عربة أو حتى عجلة.

وقالت لنفسها بسخرية : ياترى ما هو ثمن عجلة العربية ـ لابد أنها غالية ـ خسارة كبيرة أن تنفجر ثلاثة أطارات مرة واحدة ـ الخسارة بالجملة.

بدى المستقبل أمامها مظلما للغاية. جلست على مقعدها كما تجلس كل يوم حتى الكرسى الذى تجلس عليه مهدد بالإنهيار فى أى وقت ويحتاج الى إصلاح ـ وفى يوم ما ستجد نفسها وقد وقعت على الأرض وتصبح ضحوكة الجميع كل واحد من زملائها يحاول ان يخفى ابتسامنه.

أخذت تقلب فى الأوراق كما تقلبها كل يوم نظرت الى زملائها وزملائها التعاسة بادية على وجوههم جميعا كماتراها كل يوم.

ضحكت بسخرية صامته : أيقدر لها فى يومم من الأيام ان تملك عربة ؟

وقالت وهى تضحك : ده أنا لو لاقيت ثمن العربية مش هلاقى ثمن البنزين.

لم تكن جميلة ولم يكن هناك مايميزها عن الأخريات، فمن أين

تأتى العربة ؟

ضحكت مرة أخرى ضحكة ساخرة وصامته.

شعرت فجأه بشعور ضعيف جدا يدعوها للتفاؤل وقالت لنفسها : تذكرى فرج ربنا، الذى يأتى أحيانا من حيث لاتدرى تذكرت فجأه ان هناك موظفة فى الغرفة المجاورة لمكتبهم، عُرف عنها أنها ماهرة فى تفسير الأحلام.

لقد سمعت زميلة تقول لزميله أخرى : أنها تكسب ذهب ـ بعد العمل الحكومى تذهب لمعارفها تفسر لهم أحلامهم وتأخذ اللى فية النصيب. ومين ياحبيبتى لايريد أن يعلم ماذا يخبىء له الغد ؟ كلنا وحياتك.

وقالت الأخرى : طبعا. مش عيب بتلقط رزقها.

وتتذكر بأن احد الزملاء علق قائلا بسخرية : يعنى هى سيدنا يوسف ياخى ـ لايعلم الغيب إلا الله.

فكرت : ماذا تملك هى ومثيلاتها أو حتى زملائها الرجال غير الشعور بالأحباط واليأس والمرارة والسخرية أحيانا. يكفى أنهم لا ياكلون اللحمةالا مرة كل شهر مرة كل شهرين. لقد نسوا شكلها ومذاقها ولم يعودوا يتذكرون الا ثمنها.

ضحكت بسخرية لنفسها مرة أخرى : عربة هه ؟ عربه ؟

في الوقت الحاضر هي لاتجرؤ على الحلم بامتلاك عربة، كل ما تستطيع أن تطمع فيه هو أن ترى أمامها كيلوا لحمة، أو فرخة كاملة أو كيلوا سمك حتى، تأكله لوحدها ـ بدون أن ترى عيونا حزينة تحملق فيها وفيما تأكله.

أنهت عملها سريعا وقامت لتذهب لزميلتها ـ أو لسيدنا يوسف عليه السلام ـ لتفسر لهاحلمهاالعجيب ـ ربما ـ ربما ربنا كريم، ربماتقول لها مايثلج قلبها. لكنها فوجئت بالفراش يأتي حاملا لها كومة هائلة من الأوراق يضعهاعلى مكتبها صاحت هي بيأس على أيه الهم ده ؟هه ؟ على أيه ؟

أمال لو كانت المهية عدله كنتوا عملتوا أيه ؟ هه ؟ قول لهم كفاية دلع ـ كفاية دلع على المطحونين الغلابة. جلست على مكتبها وهي تكاد أن تجن ـ انهت عملها سريعا ولم تعطه حقه من الإتقان. الحلم أهم، الحلم. وتفسيره أهم ـ دي حياتي ياناس دي حياتي هكذا بررت لنفسها عدم إتقان ما كان يجب ان تتقنه ـ عملها وهي مسئولة عنه ـ ذهبت تجري قبل أن يأتي الفراش بكومه هائلة أخرى من الأوراق دخلت المكتب فرأتها ـإمرأه يبدو عليها أنها أستطاعت أن تجد راحة البال ـليست السعادة بل فقط راحة البال.

وعلقت هي تهمس لنفسها : طبعا ـ بعد العمل الحكومي ـ

بتلقط رزقها من الهوا ـ والنبى شاطره.

بدت وكأنها إمرأه استطاعت ان تهرب وتنجو بنفسها من الموت الذى يعيشة الجميع ـ غنى وفقير.

توجهت اليها وهى تحاول ان ترسم على وجهها إبتسامه صغيرة ولكنها فشلت ولم يكن يبدو على وجهها غير البؤس واليأس والتعاسة.

قالت لها بصوت هامس وكأنها على وشك أن تفشى بسر خطير : صباح الخير يافتحية ـ لم أرك منذمدة بالرغم من أن المكتب جنب المكتب. لو كنت جيتى كنت شربتك شاى ـ مين طايل الشاى فى الأيام السودا دى ؟ أطلب لك شاى ؟ أوعى توافقى أرجوك. بأه يابنت الحلال، أريدك أن تفسرى لى الحلم حلمته إمبارح، وأجرتك هكتب لك بها كمبياله أو حتى شيك بدون رصيد ضحكت فتحية وقالت صباحالخير يافايزة ـ خير ؟ أى رياح شمالية أو جنوبية أو غربية أو شرقية دفعتك الى هنا ؟

قالت فايزة وهى تضحك تسألها كيف عرفت أن فى حلمى رياح يافتحية. ولكنها ليست أى رياح بل أنها رياح قوية عاتيه.

ضحكتا الإثنتان بالرغم من كل شىء فهما بشر ولابد لهما من الضحك أحيانا . ألم يقولوا دائما أن أكثر الناس ضحكا هم أكثر الناس تعاسة.

حكت فايزة الحلم لفتحية كمارأته تماما سألتها فتحية : أتذكرين لون العربية ؟ ردت فايزة :نعم لونها اسود زى الفحم أو زى الزفت والقطران بعيد عنك.

قالت فتحية بحنكه وخبرة : كويس، الأسود عز.

قالت فايزة بغضب : أتسخرين منى ؟ عز ؟ ـ أى عز ياحبيبتى ـ ومن أين سيجىء العز -هه من أين سيجىء العز يا فتحية. هوه يعنى علشان تفسيرك لحلمى بالمجان تقومى تمزحى يافتحية ؟

قالت فتحية : إنتظرى ـ هذا الحلم تحذير يافايزة.

- تحذير ؟

- نعم تحذير.

- تحذير من أى شىء يافتحية ؟ قالت فتحية : العربية حياتك واللون الأسود عز و الإطارات المنفجرة هو ماسيجىءمع العز.

قد يأتى العز ولكنك ستفقدين ثلاثة أعمدة من حياتك وسيبقى واحد فقط.

سألت فايزة بلهفة : أأفقد بشراً أم أشياء ؟

ردت فتحية : قد يكون هذا أو ذاك.

سألت فايزة : ولو كانوا بشرا أأفقدهم بالموت ؟

رددت فتحية : أو بالخيانة.

قالت فايزة : ياساتر يار ب

قالت فتحية : لاتحلى فى طلب العربية والعز يافايزة أتركيهما يجيئان فى أوانهما حتى لا يجيئان بالمرة ـ وأدى احنا عايشين يافايزة قالت فايزة بخوف شديد : يعنى مثلا قد أحصل على العز وافقد ثلاثة من أقرب الأقربين الى بالموت أوبالخيانة، وتتوقف حياتى وتصبح عربة فى مهب الريح.

ردت فتحية بهدوء

هوكده بالضبط يافايزة. كافحى يافايزة كما يكافح الجميع أو حتى كافحى أكثر مما يكافح الجميع اذا أردت ولكن لاداعى للسخط والتبرم من كل شىء دائما وبصفة مستمرة فهذا كفيل بأن بجعل من حياتنا جهنم وجحيما لا يبرد ناره.

لم تعلق فايزة وذهبت الى مكتبها ورأت الفراش يضع كم هائل جديد من الأوراق على مكتبها لم تعلق وظلت صامته وهى تتذكر حلمها وكلمات فتحية لها.

وقالت لنفسها بهدوء : لو علموا كم من الآلام يدفع ثمنها الإنسان ثمنا لكيلو من اللحمة ؟

كثير من الآلام ـ وكل شىء وله ثمن وصاحت تقول للفراش : كوباية شاى صغير لمدام فتحية على النوتة ياعم إبراهيم.

٤٠ ـ أنت غلط

نشأ فى أحضان أم متسلطة تسلطا لا إراديا تسيطر وتيمن على كل كبيرة وصغيرة، تصدرأمرها هنا وهناك، وأحضان أب لاحول له ولا قوة سكن واستكان تحت جناح زوجته القوية.

ويتذكر أمه، ذات مره ـ وهى تقول لأبيه عندما رأته يحضر طبقافيه أكل بدون صينيه، سمعها تقول لأبيه : كده غلط ياعيد الفتاح، قل أنك تريدالعشاء وسيحضرون لك العشاء بطريقة مناسبة. ويصمت الزوج كما تعود أن يصمت.

طوال طفولته وصباه وشبابه لم يكن يسمع من أمه الا هذاالتعبير المرعب «كده غلط» «كده غلط» لايتذكر أنه سمع أمه تقول لاحد «كده صح» أو حتى «أحسنت» أو «براڤوا» لم تكن ترى الا الغلط ولاتلاحظ أو بمعنى أصح تتعامى عن رؤية الصح أو الصواب.

حتى صباه، عندما كان يأتيها بشهادة المدرسة وأنه طلع الرابع، يسمعهاتقول له : كان يجب أن تطلع الأول.

وتسأله بغضب وتهكم : لماذا لاتطلع الأول.

وتسأل بغضب وتهكم : لماذا لاتطلع الأول ؟ هل فيك حاجة غلط تمنعك من أن تكون الأول؟ وكان يسمعهاتقول «كده عيب» وكده

«ميصحش» ثم تعود مره أخرى لعبارة «انت غلطان» له ولغيره من بنى البشر.

ولكنه لم يكن ضعيفا كأبيه وبدأت بوادر التمرد تظهر عليه فى شبابه وما أن أنتهى من دراسته الجامعية والتحق بعمل يكفيه نشرالحاجة. حتى ترك بيت أمه وأبيه، مدعيا أنه يثقل عليها ويريد الإستقلال بنفسه. ولكنه فى الحقيقية كان يريد الهرب من جبروت أمه واستكانة ابيه هرب منهما كما يهرب الشاب البكر الحى من منظر إتنين يأتيان فعلا فاضحا فى الطريق العام. فلقد كان يعلم أن العلاقة بين أبيه وأمه غلط فى غلط. ثم فجأة ماتت أمه، تنهد أبوه وكأن موت زوجتة هو الخلاص بعينه، الخلاص من الجحيم والدخول فى الجنة.

أما هو فلقد حزن حزناً شديدا و كانت أمه، حزن لأنها أمه وكفى، ولم تخل حياته معهامن لحظات حنان لحظات كان حنانها يفلت منها لا إراديا إيضا.

لقد كانت امرأه مريضة. مريضة بالرغم من أنها لم تدخل مستشفى الأمراض العقلية. حرن على أمه ونسى كل هفواتها.

هفوات عقل مريض لا يرحم أحدا ولاحتى نفسه .فلقد كانت تبدو كما لوأنها تتعمد تصيد غلطات الغير، لتبدو كبيرة والآخرون أقزاما وكثيرون مصابو بهذاالمرض اللعين ولكن هذا المرض الذى كانت أمه

مصابه به كان ضخما وهائلا وفى ضخامة الدنيوصورات،التى لاتترك أحدا الا وداسته بالأقدام . وأحيانا تبتلعه فلا يبق منه شىء ولقد ابتلعت أمه أبيه فهلك ولم يبق منه شيئا. ولقد كانت على وشك ابتلاعه هو أيضا لولا رحمة من ربنا.

أخذ يتذكر أمه ويبكى. لم تعطه فرصه ليظهر لها بالرغم من كل حبه لها ثم أحيانا يشعر بالذنب تجاه أمه، لقد تركها، هجرها ولم يعطها فرصة لاصلاح نفسها، لم يحاول أبدا أن يفتح معها بابا للحوار والمناقشة ـ فربما استطاع الحوار أن يصلح ولو قليلا. ولكنه هجرها وهو يعلم أنها أخيرا أم ـ أمه ـ فربما كانت تستجيب ولكنه لم يرحمها كما أنها لم ترحمه. وأخذ يردد وهو يبكى : الله يرحمها الله يرحمها ـ الله يرحمك يا أمى. وأخذ شعوره بالذنب تجاهها يتضاعف وتضاعف حتى أستفحل، فلم يشعر بشىء الابه.

ثم ذات مرة ـ وفجأة ـ دخل بسيارته فى الشارع مكن ممنوع الدخول فيه من الإتجاه الآخر ـ ومعنى هذا أنه صح.

ثم شعر بسعادة طاغية وهو يرى زن الرجل فى العربة التى تواجهه ـ يدخل بسيارته فى الممنوع ـ فى الإتجاه الخاطىء توقفتا العربتان أمام بعضها البعض. نزل هو من سيارته وأتجه للرجل فى العربة الأخرى التى تواجة عربته وصاح هو بغضب هيستيرى كده

غاط ياأستاذ، أنا صح وأنت غلط.

رد الرجل معتذرا بأدب : أنا آسف

- أنا آسف.

فقال هو بغضب لاداعى له : أعترف ـ أعترف إن أنا صح وإنت غلط ـ وكان على وشك أن يقول له أيضا : إنت حمار ـ وبذلك يتفوق على أمه أيضا فى احراجها للآخرين ولكن الرجل عاجله برحابة صدر : أنا معترف وأنا آسف. ربنا بيسامح الا تسامح أنت ؟

شعر هو بسعادة طاغية وكأنه يعيدأمه مرة أخرى للحياة ينتشلها من الموت.

فكر : الله يرحمك ياأمى، لقد كنت تريدين إصلاح الكون ـ كنت تريدين النجاح فيما فشل فيه الأنبياء والمرسلون. الله يرحمك

شعر بدموعه تنساب على خديه بالرغم من إحساسه بالسعادة، لأنه كان صح وصاحب العربة الأخرى كان غلط، ولأنه أحيا أمه مرة أخرى ولو للحظات. ونسى هو كما نسيت أمه من قبل «أنما الأعمال بالنيات ولكل إمرئ ما نوى. وإن نيتهما لم تكن سوى رغبة فى التفوق على الآخرين.

والله أعلم بعبيده.

٤١ ـ مؤامرة على جيب مواطن

إستيقظ من نومه مذعوراً وكأنه أحداً يجرى ورائه يريد قتله. أخذ يقول وهو يلهث : ألطف يارب. الطف يارب. اللهم اجعله خيراً يارب.

توجه إلى الثلاجة مباشرة فلقد كان جائعاً جداً، فتحها فلم يجد فيها غير زجاجة مياه يتيمه. اتجه إلى المطبخ فوجده خاليا من كل شئ، حتى من الشاى والسكر. وكان يلعم كل هذا قبل أن ينام جائعاً أمس كان يعلم أن بيته خاويا وخاليا ولكنه كان يأمل فى أنه ربما تحدث معجزه، معجزه تملأ ثلاجته بالفراخ واللحمه الضانى والمحشى والبيض والجبنه بجميع أنواعها حتى المستورد منها أو على الأقل أن يجد الشاى والسكر، ولكنه لم يجد شيئاً على الإطلاق.

ويسأل : إلى متى سيظل يحيا هكذا؟

يحيى حيا ميتا. إن الطعام نعمة من نعم ربنا وحرمانه من أنواعه المتازة، تعاسه تعاسه ما بعدها تعاسه.

تركته زوجته هى والعيال منذ أيام.

هجرته قائلة وهى تبكى : سأظل فى بيت أبى أنا وأولادى الى

أن تجد أنت ما يطعمنا ويكسينا .

ثم أضافت : على الأقل ساجد الفول أو حتى العيش الحاف فى بيت أبى.

وأضافت بحنان : أنا مش زعلانه منك. أنا لا ألوم إلا الظروف. لا لوم عليك ولكننى لا أطيق أن أرى أولادى جعانين وعريانين. أنا لا ألوم إلا الظروف يا مصطفى. لا لوم عليك يا أبو عيالى. وعندما رحلت ـ بكى مصطفى، بكى عندما سمع ما قالته زوجته وكأنه ليس رجلا بل شبه رجل ـ شبه رجل غير قادر على اعالة أسرته.

بكى وهو بمفرده قائلا لنفسه : حتبقى هيه والزمن عليه.

ولكنه يتذكرها وهى تقول : لالوم عليك يا أبوعيالى

بعد أن تأكد مصطفى من خلو البيت، بيته من كل شىء، توجه الى جيوب بنطلونه وجاكتته. فلم يجد فيهم الا أربعة جنيهات وقروش قليلة. جلس على المقعد وأخذ يفكر : البقال يريد منه سته جنيهات والخضرى سبعة جنيهات وبائع الجرائد جنيهين ـ الجميع يريدون منه وهو خالى الوفاض، لايملك شيئا.

انتابته حالة من الجنون وهو يفكر كل شهر هذه البهدله والذى يلاقية على يد دائنيه ـ تجار الحى ـ أيمتنع هو وعياله وأمهم عن الأكل ؟ كيف ؟

دخل الحمام فوجد قطعة صابونة صغيرة ـ حلق ذقنه ولحيته بعبناية بالرغم من أن الموس كان قد طال إستعماله.

ثم أخذ دشا باردا وحمد ربه أن الدنيا صيف. ففى الشتاء وعندما يضطر أن يأخذ دشا باردا فى عز البرد تكون المياه البارده كالسياط تلهب جسده فيرتعش من الألم ولكنه يتحمله بصبر وجلد. صبر وجلد الشهداء. الالم ومزيد من الألم هو كل ما يلاقيه فى دنيته. ما الحل ؟ ـ لاحل ـ على الأقل الحل اليوم ـ والبهدلة جاية جاية البهدلة والهوان والمهانة. جايه.

فكر تغور دى لقمة إذا كان ثمنها كل هذه البهدلة.

سيد الخلق الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان يضع حجرا على بطنه ويربطه برباط حتى لا يشعر بآلآلم الجوع، ولكن رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان نبيا أما هو فهو رجل غلبان ـ غلبان فى كل حاجة، حتى فى قدرته على التحمل.

كثر الحديث هذه الأيام على اللقمه والهدمه حتى زهدهما الناس، بل أصبحا كالبعبع، يخشى الإنسان أن يتذكرهما. لم يعد للقمة طعم أو مذاق ولم يعد للهدمه رونق وجمال وفقدت الحياة بهجتها. ولكن الهدمه واللقمه ليسا كل شىء.

ماذا عن الحب ؟ حتى الحب فقد عذوبته ولم يعد هناك مكان أو

وقت له.

لقد تركته زوجته والعيال ليجدو العيش الحاف أو الفول أحيانا في مكان آخر غير بيته.

فتح التليفيزيون ليجد المذيعة الجميلة الأنيقة تقدم برنامجا عن «طبقك المفضل» «طبق اليوم» وكيف تعدين النجرسكو» هذا التليفزيون المتهالك الذى يعمل من حين لآخر والذى لا يجد له بائعا يشتريه.

أرتدى ملابسه التى بليت. . وقرر : لن يذهب لعمله اليوم. وجد نفسه فى الشارع، نظر إلى جلاديه بثقه غريبة، ليفعلوا ما يريدون أن يفعلوه ـ الجزار والبقال والخضرى وبائع الجرائد وغيرهم، تجاهلهم تماما. توجه مباشرة الى بائع التين الشوكى وكان يحب التين الشركى.

وصاح يأمر البائع : قشر فسأله بائع التين كام يابيه ؟

فصاح مصطفى قائلا : قشر حتى أقول لك كفايه.

أخذ بائع التين يقشر ومصطفى يلتهم ما يقشره تذكر أولاده الجائعين فدمعت عيناه كان يأكل ويبكى فى نفس الوقت ولكن بكائه كان صامتا فلم يلحظه البائع : ولا مره لايشعر مصطفى بأى طعم للتين الشوكى رغم حبه له.

صاح البائع كفايه يابيه. لقد أكلت حضرتك ثلاثين تينه حتى

الآن.

صاح مصطفى وهو مايزال يبكى : قشر ـ أنا فلوسى كثيرة والحمد لله قشر.

صاح البائع : بأمانه الموضوع مش موضوع فلوس كثيره - كده حتعيا ـ انا خايف عليك. ولكن مصطفى استمر فى التهام التين كالمجنون ـ صائماً من حين لآخر : قشر يارجل ـ أنا فلوسى كثيره ـ فلوسى كثيرة أوى وبعد أن انتهى من أكل التين ـ سأذهب الى الشيراتون لاتناول إفطارى هناك. أنا دائما بافطر فى الشيراتون وأحيانا فى الميرديان. أعطى مصطفى كل ما معه لبائع التين ـ صاح وهو يسير، هو يرى جلاديه تجار الحى يتجهون كلهم نحوه. صاح قائلا لبائع التين :أبقى جيب لى تين ياريس ـ لاتنسى أرجوك.

فسأله بائع التين : فين يابيه فضحك مصطفى كالمجنون وزبانية جهنم يلتفون حوله ـ يحكمون عليه الخناق

قال مصطفى صائحا : وهو يحاول أن يخفى دموعه فى قسم البوليس أو فى مستشفى القصر العينى.

٤٢ ـ رحمة فى الأدغال

استقلت الطائرة المتجهة الى بلد من بلاد افريقيا حيث يعمل زوجها هناك. زوجها الذى لم يعد يحبها ولم تعد تحبه. تريد الطلاق ولكن الذى يمنع هو أطفالها الثلاثة.

نطرت الى أطفالها وهم جالسون بجانبها فى الطائرة، القيد الذى يربطها بهذا الرجل ـ زوجها إكتشفت أنه لم يعد يفهمها ولم تعد تفهمه. حياتها معه لم تعد، إلا رابطة صورية وشكليه لا واقع لها بالرغم من محارلاتهما المتكرره لاصلاح ما أفسدته الغربة والبعد.

وهى وأولادها لا يروه الا فى أشهر الصيف فقط.

لماذا تصبح الحياة ـ أحيانابهذه القسوة ـ حينما لايعد للحياة معنى أو هدف.

أخذت تفكر فى زميلاتها وصديقات الطفولة : نوال ضربها زوجها بعد عشر سنوات زواج، ساميه تزوج زوجها ووضعها فى قمقم وخيل اليه خياله انها تخونه وهكذا وهكذا وفكرت فى حالها أيضا اين الإرتباط السوى الذى وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه مودة وسكنا.

لقد كان آدم يعيش سعيدا وحده فى الجنة. ولكنه شعر بالوحدة فطلب من سيدنا جبريل فقال له جبريل أن لكل مخلوق إرادة

وأنه عندما يوجد مخلوقات معا فان ارادتهما تتعارض وأن التعارض بين الإرادتين يخلق نوعا من الصراع تختلف حدته وقوته، ولكنه موجود وقائم حتى ينفصل المخلوقان.

وان هذا التعارض والصراع يسبب كثير من التعاسه. ولكن آدم أصر وكان مستعدا لدفع الثمن ولكنه القدر أرادة ربنا سبحانه وتعالى وكان الله دائما يريد الرحمة والحب لكل مخلوقاته، لكن هذه المخلوقات فشلت فى تحقيق ماريريده الله لهم.

رفضت هى طعام الغذاء الذى قدمته لها المضيفة. وبابتسامة صغيره أشارت هى فقط للمضيفة على أولادها كانت تحب زوجها ثم ما الذى جعلها بعد ذلك تكرهه. أنها حكاية طويلة فضلت هى أن تنسى تفاصيلها فلا جدوى من التدكر لانه لا يسبب لها غير الألم.

كانت دائما تكره اليأس وتتجنبه ولكنه أخيرا فرض نفسه عليها وببساطة لم يعد زوجها يريدها ولم تعد تريده. وضاع كل الحب القديم ـ بدون أمل فى عودته أو إحيائه.

الا أنه ما زال يلبى طلباتها هى وأطفالها وبكرم شدديد ـ والأكثر من ذلك أنه يحترمها أمام الناس ولكنهما يعلمان تماما أن ذلك لم يعد يكفى وكانا دائما التفكير فى كيفية الخروج من هذا المازق العظيم.

تذكرت هى عمل أدبى لجون بول ساتر « الجحيم هو الآخرون»

وتخيل سارتر أن خمسة أشخاص -مختلفون تماما فى كل شىء ولا يجمعهم أى حب وقد أضطروا للحياة معا فى غرفة واحدة وأصبحت الحجرة صورة مصغرة من الجحيم. أيستطيع الإنسان أن يحب ثم يكره نفس الإنسان وبكل هذه السهولة ؟ نظرت الى أولادها فوجدتهم يأكلون فشعرت بالراحة.

ماذا ستقول له ؟ وماذا سيقول لها ؟ عندما تلقاه بعد بضعة ساعات قليلة ؟

فيما سيتحدثان وماذا يفعلان عندما ينام الأطفال ويخلوا لهما البيت وبعد كل هذا البعد ؟ وبعد كل هذا الحرمان نعم ـ ماذا سيفعلان كيف سيمضى الليل بهما وقد أصبحا غريبان ـ على طريق واحد؟

ولكن حتى الغريبان يلتقيان- أحيانا اذا إشتدت قسوة الوحدة وطال أمدها.

وإبتسمت هى بحسره لنفسها قائله : الله يرحمك ياسارتر . لقد وضح سارتر الموقف ولكنه لم يستطع تحديد العلاج.

وضحكت قائلة لنفسها : ومنذ متى يجد الفلاسفة العلاج لاى شىء ؟

أنهم يتكلمون ويتكلمون ويتخبطون وفى كل واد يهيمون ـ

ويسيرون فى طرق متشبعة ولا يملون. ولكنهم أبدا لم يجدوا علاجا لأى شىء. لقد ثبت فشلهم واذا وجد أحدهم علاجا ـ يبرهن الزمن على انه ليس سوى علاجا عقيما بل أحيانا يزيد علاجهم الطين بله.

وما زالت البشرية تعانى وتتخبط بسبب فشل مفكريها وعقم تفكيرهم.

وتذكرت ماركس ولم تستطع ان تقول الله يرحمه. وأبتسمت وفكرت : ياترى كيف سيحاسب الله ماركس وفكرت أنه سيكون منظرا فريدا حقا.

عندما يقول الله سبحانه وتعالى للجبارة فيسألهم : لمن الملك ليوم ؟

ويخشع الجميع قائلون : لله الواحد القهار : لله الواحد القهار نظرت الى أطفالها فوجدتهم ما زالوا يأكلون، فتنهدت براحة، الطائرة تقترب من المطار وشعرت أن أطرافها ترتعد.

ماالذى يقتل الحب ؟ ماهو السبب الحقيقى الذى يقتل الحب ؟ انها القسوة ـ القسوة تقتل الحب، وتحوله لكراهية ورغبة فى الإنتقام.

كانت تسمع جدتها تقول كثر الأسية تقطع عروق المحبة ولكن زوجها لم يكن قاسيا وهى ايضا لم تكن قاسية فماداحدث ؟

ماذا حدث جرهما الى كل هذا الهم، عندما تزوجته لم تحلم حتى بأن يصل بها هو الى نقطة اللاعودة.

وصلت الطائرة. جرى أطفالها الى ابيهم سعداء. رأت سعادة أولادها بأبيهم هذا هو فقط الذى يبقيها معه سعادة أولادها.

قبلها زوجها على جبينها وسألها بهدؤ وبرود أيضا كيف حالك ؟ فردت قائلة الحمد لله. وأنت ؟

نام الأطفال بعد إحتفال صغير أعده لهم أبيوهم.

وهو ـ هو اعتذر بان لديه عمل عاجل وتركها وحيدة بعد أن قال لها جبر خواطر : البيت بيتك وأنت سيدته، عن إذنك لم يحاول أن يتظاهر أو يمثل أو يبقى معها ـ وحمدت ربها على ذلك.

وتوجهت الى الحمام واذا بها ترى برصا صغيرا ـ ملونا بشتى الألوان التى نجدها فى زرع الغابة. الوان الغابة الزاهية التى ولد فيها البرص الصغير- رأته يقبع فى الحوض فصزحت وهى مذعورة فلقد كانت تكره الأبراص رتخشاهم.

جاء الخادم الأسود على وجه السرعة وقد كانت أول مرة تراة وسألها بالإنجليزية : ماذا حدث ؟ أشارت هى الى البرص الصغير وهى ترتعد.

ضحك الخادم بشدة.

أغتاظت وقالت هى تأمره : أقتله ـ أقتله بسرعة.

هز الخادم الشاب رأسه لا لا أستطيع.

فقالت له بلهجةآمره وهى غاضبة : أقل لك أقتله.

أصرالخادم قائلا لا أستطيع

فسألته بغيظ: لماذا ؟

فاجاب الشاب لأنه لا يزال طفلا.

ثم أضاف : لا تخافى، لن يؤذيك ولم ينتظر حتى تقول المزيد، بل تركها وهو يضحك.

نسيت هى البرص الصغير، وشعرت باعجاب شديد للشاب الأسود، الذى تربى فى الأدغال والأحراش وسط الوحوش الضارية.

وكان يعلم أنه عصيانه لامرها قد يعرضه لفقدان عمله ولكنه لم يبال.

كان على استعداد ان يضحى بلقمه العيش فى سبيل هذا البرص الصغير « الطفل » كما يقول هو وهو يضحك.

شاب إسود فى سواد الليل الحالك وضع الله فى قلبه رحمة فأصبح قلبه ابيض زى الفل.

من أين جاءت أو من اين تعلم كل هذه الرحمة ؟ انها من عند الله وكل ماحوله يوحى بالقسره والوحشيه.

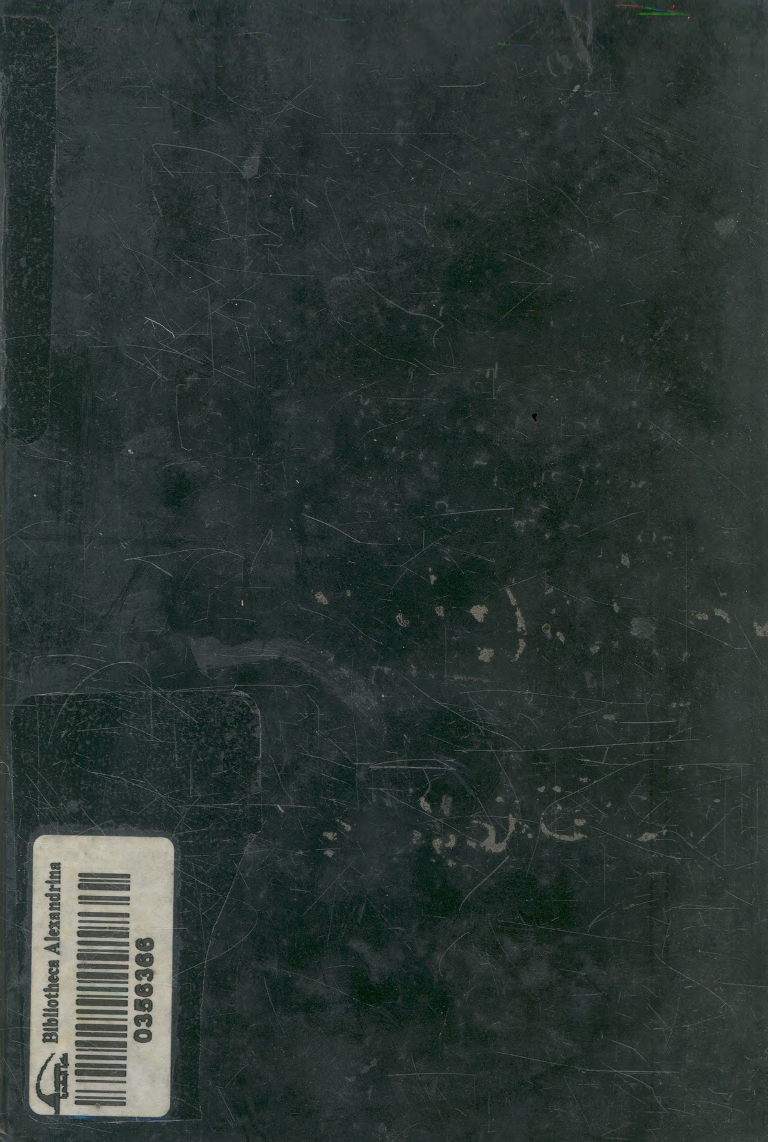
نعم الرحمة ـ الرحمة هى التى تحى الحب.

ولو ان شخصيات سارتر فى « الجحيم هو الآخرون » أستطاعوا ان يرحموا الرحمة التى تفوق العدل ؟بالعدل مش كفاية بل بالرحمة نستطيع ان نعيش مع بعضنا البعض ولو حتى فى قمقم.

فى هذا الكتاب كثير من الدموع

ولكنها الدموع التى يذرفها كل واحد منا فى مرحلة

أو أكثر من مرحلة من رحلته.


Bibliotheca Alexandrina
03566366